وزارة التربية

السيرة النبوية

الصف السابع - التعليم الديني

تأليف

أ . عطية علي سعد عيسى (رئيسا)

د. ناصر دسوقي رمضان سليمان

أ . منيرة خالد فهد البيدان

أ . ياسر المعداوي عبد الله حماد

أ . فاطمة يوسف أحمد عبد الله

الطبعة الأولى

١٤٣٧ - ١٤٣٨

٢٠١٦ - ٢٠١٧م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٦/ ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

الوحدة	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	١١
الوحدة الأولى	قريش ومواصلة العداء بعد الهجرة	١٥
	غزوة بدر الكبرى (١)	٢٣
	غزوة بدر الكبرى (في ساحة المعركة) (٢)	٣٥
	محاولة جديدة لاغتيال النبي بعد غزوة بدر الكبرى	٤٦
	غزوة بني قينقاع	٥٢
الوحدة الثانية	القيادة المسلمة تؤدب مثيري الفتنة في المجتمع المسلم	٦٣
	غزوة أحد ((الجولة الأولى))	٧١
	غزوة أحد ((الجولة الثانية))	٨٤
	غزوة حمراء الأسد	٩٥
	محاولات المشركين لزعزعة الدولة الإسلامية بعد غزوة أحد	١٠٤

الوحدة	الموضوع	الصفحة
الوحدة الثالثة	مصاب المسلمين في أصحاب الرجيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١١٥
	فاجعة بئر معونة	١٢٣
	غزوة بني النضير	١٣٢
	غزوة ذات الرقاع	١٤٠
	غزوة بني المصطلق (المريسيع)	١٥٠
الوحدة الرابعة	حادثة إلافك	١٦٣
	غزوة الخندق (الأحزاب) (١)	١٧٢
	غزوة الخندق (الأحزاب) (٢)	١٨٢
	غزوة بني قريظة	١٩٢
	زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وإبطال عادة التبني	٢٠٣
	المراجع	٢١٢

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد . . . .

فهذا منهج السيرة النبوية للصف السابع من التعليم الديني نضعه بين يدي أبنائنا وبناتنا المتعلمين والمتعلمات سائلين الله تعالى أن ينفعهم جميعاً به .

وقد حرصت اللجنة على صياغة الكتاب بأسلوب سهل مبسط يتناسب مع مستوى المتعلم في هذه المرحلة العمرية المبكرة ، كما حرصت اللجنة على تجنب الإطالة في سرد الأحداث ، وقد ركزت اللجنة على النقاط الجوهرية في سرد الأحداث من غير إيجازٍ مخلٍ بالموضوع .

وقد استهلت اللجنة الكتاب بالحديث عن مواصلة قريش الاعتداءات على المسلمين بعد الهجرة ، مما ترتب عليه خروج النبي ﷺ لملاقاة عير قريش وما تبع ذلك من أحداث غزوة بدر الكبرى ، ثم توالت أحداث الكتاب متناولةً أبرز الغزوات والوقائع مثل : غزوة بني قينقاع ، وغزوة أُحُد وما تبعها من أحداث مثل : غزوة حمراء الأسد ، والرجيع ، ومعونة ، ثم غزوة بني النضير ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة بني المصطلق وما حدث فيها من إشاعة كاذبة (حادثة الإفك) حول السيدة عائشة رضي الله عنها ، ثم غزوة الأحزاب ، وغزوة بني قريظة . كما تعرضنا في ثنايا الكتاب لبعض التشريعات الاجتماعية التي قصدت إلى تخليص المجتمع من عادات الجاهلية ، وذلك من خلال زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وإبطال عادة التبني .

وقد حرصت اللجنة على استخلاص دروسٍ مبسطة مستفادة من أحداث الدرس ؛ يقف عليها المتعلم من خلال سرد الأحداث ، مع إتباع الدرس بتقويم مبسط يقف المتعلم منه على طريقة السؤال المحتمل منه .

والله عز وجل من وراء القصد ، ونسأله سبحانه أن يُنتفع بهذا الجهد ، إنه سميع قريب .

المؤلفون

الوحدة الأولى

١ – قريش ومواصلة العداء بعد الهجرة .

٢ – غزوة بدر الكبرى (١)

٣ – غزوة بدر الكبرى (في ساحة المعركة) (٢)

٤ – محاولة جديدة لاغتيال النبي ﷺ بعد غزوة بدر الكبرى .

٥ – غزوة بني قينقاع .

قريش ومواصلة العداء بعد الهجرة

التمهيد :

بذل مشركو مكة محاولات كثيرة للقضاء على الإسلام ، وسعوا بكل جهدهم كي يمنعوا وصول النبي ﷺ إلى المدينة ، ولكنهم فشلوا في كل ذلك ، ونجى الله رسولهﷺ مما أرادوه من محاولة قتله ، ووصل المدينة بتأييد الله تعالى ومعيته له سالما معافى .

ولكن ما كان لأهل الشرك أن يسكتوا ويكفوا عداءهم عن المسلمين ، لأنهم لن يرضوا بأن يقوم للإسلام كيان ودولة مهما كانت بعيدة عنهم ، لأن ذلك يهدد مصالحهم ، ويقوض بنيانهم ، فهم يعلمون أن قيام الإسلام معناه انتهاء الجاهلية والقضاء على عبادة الأوثان ، ومنع إذلال الناس ، والعمل على نشر المساواة بين البشر ، والمشركون لا يريدون ذلك ، ومن ثم كان لابد أن يسعوا بكل جهدهم لمواجهة الإسلام ومحاربة دولته الناشئة .

مواقف قريش العدائية مع المسلمين بعد الهجرة :

١ – اعتداء المشركين على بعض المهاجرين وإرجاعهم موثقين إلى مكة :

ذكر عمر بن الخطابرضي الله عنه أنه لما أراد الهجرة تواعد مع عياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل السهمي ، واتفقوا على التقابل في مكان معيّن صباحاً ، فمن لم يأت فقد حبسه قومه فليمض صاحباه .

قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب – اسم مكان – وفطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وفُتن فافتُتِن – أي عذبوه حتى قال كلمة الكفر – ، ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام – أسلم الحارث بعد ذلك – خرجا حتى قدما المدينة ، ورسول اللهﷺ بمكة ، فقالا لعياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما : إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرقّ لها . فقلت له : يا عياش إنه والله إن يردك

القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فو الله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . فقال : أبر قسم أمي ، ولي هنالك مال فآخذه . فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريشٍ مالاً ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . فأبى علي إلا أن يخرج معهما .

فلما أبى إلا ذلك قلت : أما إذا قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها ، فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ – أي عياش – وأناخ أبوجهل ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً ، وفتناه فافتُتِن ، ودخلا به مكة نهاراً موثقاً ، ثم قالا : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا [1] .

٢ – صد قريش المسلمين عن البيت الحرام :

كان من المواقف العدائية الدالة على استمرار قريش في محاربتها للإسلام والمسلمين بعد هجرة النبي ﷺ صد المسلمين عن البيت الحرام ، وهذا ما حدث مع سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقد كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد رضي الله عنه ، وكان سعد رضي الله عنه إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد رضي الله عنه معتمراً فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا معك ؟ فقال : هذا سعد ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد آويتم الصباه[2] وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد رضي الله عنه ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على المدينة . وفي رواية أخرى

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – محمد بن يوسف الصالحي الشامي (٣/ ٢٢٦) ، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٢٢) .
(٢) الصباه : جمع صابي : أي الخارج عن دينه ، وكان المشركون يسمون من أسلم صابئا .

« والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك إلى الشام» [1] فهذا الموقف يظهر لنا كيف بدأت قريش تصد المسلمين عن بيت الله تعالى وتمنعهم من الطواف حوله .

٣ – تحريض قريش للكفار والمنافقين على المسلمين في المدينة :

ودليل آخر على مبادرة رؤساء مكة في إعلان الحرب على الدولة الإسلامية في المدينة ، ما حدث من كفار قريش حيث كتبوا إلى عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة ، قبل وقعة بدر : إنكم آويتم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه ولتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ، ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ عبد الله بن أُبيّ ، ومن كان معه من عبدة الأوثان ، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال : «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا [2] .

وهنا تظهر عظمة النبوة ، وحكمة القائد المربي ﷺ ، حيث قضى على هذه الفتنة في مهدها .

٤ – إغارة المشركين على مراعي المسلمين في المدينة وحدوث غزوة بدر الأولى :

لم يكتف المشركون بكل هذه الاعتداءات ، بل وصل بهم الأمر أن يرسلوا بعض المشركين بقيادة كرز بن جابر الفهري كي يغيروا على إبل المسلمين ومواشيهم في المدينة .

غزوة بدر الأولى :

تاريخ الغزوة : في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ ، الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣م

سبب الغزوة : أن كرز بن جابر الفهري ، أغار في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة ، ونهب بعض المواشي ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتسمى هذه الغزوة «بدراً الأولى» وسار

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٢/ ٥٨) .
(٢) ينظر : الرحيق المختوم (١/ ١٤٩) ، وينظر : الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية – محمد مسعد ياقوت (١/ ٢١) .

النبي ﷺ في ملاحقة كرز حتى بلغ وادياً يقال له : (سفوان) من ناحية بدر ، ولكن كرز بن جابر استطاع أن يهرب ورجع مسرعاً ولم يدركه رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة دون وقوع قتال[١] .

حال المسلمين في المدينة واستعدادهم تجاه عداء قريش لهم :

بعد أن بدأت قريش بإعلان حالة الحرب بينها وبين دولة الإسلام الناشئة بالمدينة ، ونزل الإذن من الله تعالى بالقتال صار من الطبيعي أن تتعامل دولة المدينة مع قريش حسب ما تقتضيه حالة الحرب هذه ، فقد اتجه نشاط الرسول ﷺ نحو إرسال السرايا ، بل وخروجه هو في غزوات ، من أجل توطيد مكانة هذه الدولة ، والرد على قريش في إعلانها الحرب على المدينة ، وتهديد مصالحها ، ومصالح كل من تسول له نفسه الاعتداء على المدينة ، فكانت تلك السرايا التي سبقت غزوة بدر الكبرى .

تعداد سكان المدينة وعلاقته بالسرايا :

في هذه الأوقات أمر النبي ﷺ بإجراء تعداد سكاني في السنة الأولى من الهجرة ، وبعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مباشرةً ، فقال رسول الله ﷺ : «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس»[٢] وكان هذا الإجراء الإحصائي يدخل ضمن الإجراءات التنظيمية في تطوير الدولة الناشئة ، فبلغ تعداد المحاربين منهم فقط (١٥٠٠) ألفاً وخمسمئة رجل . وكان المسلمون يعيشون قبل هذا التعداد السكاني فترة خوف ممن يتربص بهم من الأعداء ، ظنًّا منهم أنهم مازالوا قلة ، حتى كانوا لا ينامون إلا ومعهم السلاح خوفاً على أنفسهم ، وكان رسول الله ﷺ يمنع خروجهم ليلاً فرادى حمايةً لهم من الغدر ، وبعد هذا التعداد قالوا : نخاف ونحن ألف وخمسمئة ؟ ! ، وهو تساؤل من قبيل التعجب ، ومن ثم بدأت السرايا والغزوات [٣] .

---

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – د . علي محمد محمد الصلابي (٢/ ٦٢) ، و ينظر : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد بن عفيفي الخضري (١/ ٧٩) ط ١ ، بيروت لبنان ، دار المعرفة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م ، وينظر : إمتاع الأسماع للنبيﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، المقريزي (١/ ٧٤) .

(٢) رواه البخاري – باب كتابة الإمام الناس (رقم ٣٠٦٠) .

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٢/ ٦٥) .

حراسة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ :

كان الصحابة ﷺ يحرسون النبي ﷺ حراسةً شخصيةً ، فعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت : « أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال : «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» إذ سمعنا صوت السلاح ، قال : من هذا ؟ . قال : سعد ، يا رسول الله جئت أحرسك ، فقام النبي فنام حتى سمعنا غطيطه »[1] وكان ذلك قبل غزوة بدر الكبرى .

ويستفاد من هذا الموقف :

١- وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخذ بأسباب الحذر من العدو بالرغم من قوة توكله على الله تعالى .

٢- وجوب الاحتياط و ترك الإهمال في موضع الحاجة .

٣- الثناء على الصحابة ﷺ في حبهم لرسول الله ﷺ وحراستهم له .

ما يستفاد من الدرس :

١- استمرار محاولات قريش للقضاء على الإسلام والمسلمين بعد الهجرة إلى المدينة .

٢ - تعدد وسائل قريش في إيذاء المسلمين بعد الهجرة وكان منها :

أ - اعتداء المشركين على بعض المهاجرين وإرجاعهم موثقين إلى مكة .

ب - صد قريش للمسلمين عن البيت الحرام .

ج - تحريض قريش للكفار والمنافقين في المدينة ضد المسلمين .

٣ - قيام النبي ﷺ ببعض الأعمال العسكرية لتوطيد مكانة الدولة وردع الأعداء .

٤ - إغارة المشركين على مراعي المسلمين في المدينة وحدوث غزوة بدر الأولى .

٥ - إحساس المسلمين بالقوة والمنعة بعد إجراء التعداد السكاني الذي أمر به النبي ﷺ .

(١) رواه البخاري - باب قوله ﷺ ليت كذا وكذا (رقم ٧٢٣١) .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- نجحت محاولات قريش في صد النبي ﷺ ومنعه من الهجرة . ( )

٢- استطاع كرز بن جابر الفهري أن يهرب بعد سرقة إبل المسلمين . ( )

٣- ثبات سعد بن معاذ رضي الله عنه وتهديده لأبي جهل بمنع تجارته . ( )

٤- حدوث غزوة بدر الأولى في السنة الثالثة من الهجرة . ( )

السؤال الثاني : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(الأخذ بالأسباب – حكمته – هشام بن العاص – التواكل – زيد بن حارثة رضي الله عنه)

١ – استخلف النبي ﷺ على المدينة ..... في غزوة بدر الأولى .

٢ – حراسة الصحابة للنبي ﷺ كان تطبيقاً لمبدأ .....

٣ – تمكن المشركين من فتنة ..... عن دينه بعد حبسه وتعذيبه .

٤ – قضاء النبي ﷺ على فتنة الحرب في المدينة دليل على ..... في مواجهة الأزمات .

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١- اكتب سبب غزوة بدر الأولى :

.....

٢- ما أثر إجراء التعداد السكاني الذي أمر به النبي ﷺ ؟

.....

٣- علل إرسال النبي ﷺ للسرايا بعد الهجرة :

.....

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس»

القائل (.....)

٢- أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه»

القائل (.....)

السؤال الخامس : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- أراد أن يمنع سعد بن معاذ رضي الله عنه من الطواف بالبيت فهدده في تجارته .

(.....)

٢- احتال عليه أبو جهل ليرجع عن الهجرة وعاد به إلى مكة موثقاً .

(.....)

غزوة بدر الكبرى (١)

التمهيد :

رأينا في الدرس السابق كيف واصلت قريش الاعتداء على المسلمين في المدينة بعد كل ما فعلته بالمسلمين في مكة من : مصادرة للأموال ، ونهب للممتلكات ، واستيلاء على البيوت وغير ذلك ، وقد حمل كل هذا الاضطهاد والتعذيب المسلمين على ترك أعز البلاد إلى نفوسهم ، والهجرة إلى بلد غريب لم يألفوا جوّه ، مما جعلهم يصابون بالحمى ويعيشون فترات عصيبة ، ولولا حبهم لدينهم وتضحيتهم في سبيله ما استطاعوا أن يتغلبوا على ذلك .

أسباب غزوة بدر الكبرى :

تسمى غزوة بدر الكبرى : بغزوة الفرقان ، لأن الله تعالى فرّق فيها بين الحق والباطل ، ونصر عباده المؤمنين بالرغم من قلة عددهم ، وسلاحهم ، على الكثرة الكافرة المدججة بالسلاح والعتاد .

وقد كان لهذه الغزوة عدة أسباب من أهمها :

١ – ملاحقة قريش للمسلمين في المدينة بالإيذاء وسرقة إبلهم ومواشيهم .

٢ – محاولة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم استرداد بعض ما نهبه المشركون منهم في مكة .

٣ – تأديب قريش وتضييق الخناق عليها وتهديد مصالحها وخاصةً التجارية من خلال رحلتها إلى الشام .

تاريخ الغزوة :

خرج رسول اللهﷺ يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة .

واستعمل عبد الله بن أم مكتومٍرضي الله عنه على الصلاة بالناس ثم رد أبا لبابةرضي الله عنهم من الروحاء ، واستعمله على المدينة[1] .

أحداث الغزوة : سمع النبيﷺ برجوع قافلة قريش التجارية والتي يقودها أبو سفيان بن حرب من الشام فخرج رسول اللهﷺ ، وانتدب الصحابةرضي الله عنهم للخروج معه لأخذ القافلة ، وتكلم فقال : « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا» ،فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة ،فقال : « لا ، إلا من كان ظهره حاضراً »[2] وقد غلب على ظن كثير من الصحابةرضي الله عنهم أن النبيﷺ لم يلق حربا من المشركين[3] .

وينبغي أن نعلم : أن الحالة بين المسلمين والمشركين كانت حالة حرب ، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودماؤهم مباحة ، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للمسلمين ، وقد استولى عليها المشركون ظلما وعدوانا .

أبو سفيان يتتبع الأخبار خوفاً من المسلمين :

كان أبو سفيان بن حرب رجلاً ذكياً ، يدرك ما فعلته قريش بالمسلمين ، ويتوقع أن يغتنم المسلمون الفرصة لاسترداد بعض ما أخذته قريش منهم ، فلما دنا بالعير من أرض الحجاز ، جعل يتتبع الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، حتى أفاده بعض العرب برؤية راكبين قد أناخا بعيرهما واستقيا ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، فَفَتّه فإذا فيه النوى ، فقال هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره وانطلق

(١) الروض الأنف في شرح غريب السير – عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (٣/ ٥٤) .
(٢) صحيح مسلم – باب ثبوت الجنة للشهيد ، ج٣ – ط ١٥ – دار إحياء التراث العربي بيروت ، ص ٩ .
(٣) في القاموس : نفله ونقله وأنفله : أعطاه إياه ، والنفل : الغنيمة .

إلى طريق الساحل[١] ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ليأتي مكة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم .

وصل ضمضم بن عمرو مكة ، وجعل يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره أي : قطع أنفه وأذنيه ، وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة[٢] . أي – أدركوا اللطيمة – أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها . وفي لفظ : إن أصابها محمد لم تفلحوا أبداً الغوث الغوث[٣] . وكانت أعمال ضمضم دلالة عند العرب على شدة المصيبة .

خروج قريش لإنقاذ القافلة :

لما سمع مشركو قريش بالخبر كانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأعان قويهم ضعيفهم ، وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج ، ولم يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب ، وبعث مكانه العاص بن هشام استأجره بأربعة آلاف درهم .

الوصف القرآني لخروج المشركين :

لقد خرج المشركون يوم بدر لنصرة العير ، في تكبر واستعلاء ، وهذا يظهر من قول أبي جهل : والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً فنشرب فيها الخمور ، وتعزف علينا القيان[٤] ، فإن بدراً موسم من مواسم العرب ، وسوق من أسواقهم ، حتى تسمع العرب بمخرجنا ؛ فتهابنا آخر الأبد[٥] . وقد وصف الله تعالى خروجهم ذلك في قوله :

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦]

أصر المشركون على القتال وكانوا خمسين وتسعمئة (٩٥٠ رجلاً) مدججين بالسلاح والعتاد .

---

(١) ينظر : الروض الأنف في شرح غريب السير – عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (٣/ ٦١) ، وينظر : غزوة بدر الكبرى – لأبي فارس ، ص٣٣-٣٤ .
(٢) اللطيمة : القافلة المحملة بشتى أنواع البضاعة غير الطعام .
(٣) ينظر : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – علي بن برهان الدين الحلبي (٢/ ٣٧٧)
(٤) القيان : بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفي آخره نون جمع قينة وهي الأمة مطلقاً وقيل المغنية والمراد هنا الثاني لقوله في الامتاع ومعهم القينات يضربن بالدفوف .
(٥) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – د . الصلابي ، ص٣٩٩ .
(٦) سورة الأنفال : ٤٧ .

أبو سفيان يستطيع الهرب بالقافلة :

خاف أبو سفيان من إدراك المسلمين له قبل أن يأتيه رجال قريش ، فغيّر طريقه وسلك طريق الساحل بعيداً عن المدينة ، وعندما أمن أبو سفيان على سلامة القافلة أرسل إلى زعماء قريش وهو بالجحفة برسالة أخبرهم فيها بنجاته بالقافلة ، وطلب منهم العودة إلى مكة ، وذلك أدى إلى حصول انقسام حادٍ في آراء زعماء قريش ، فقد أصر أغلبهم على التقدم نحو بدر من أجل تأديب المسلمين وتأمين سلامة طريق التجارة القرشية ، وإشعار القبائل العربية الأخرى بمدى قوة قريش وسلطانها ، ورجع بنو زهرة ولم يواصلوا السير مع المشركين إلى بدر .

أعمال هامة بعد تغير الأحداث :

بعد أن تغيرت الأحداث وصارت إلى غير المتوقع ، اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقوم بعدة أمور يتطلبها الواقع الجديد ، وكان من أهم هذه الأمور :

أولاً : القيام بعمليات استطلاعية :

قام النبي ﷺ بنفسه بعمليات استطلاعية ، وأمر أصحابه رضي الله عنهم كذلك بالقيام بعمليات استطلاعية ، كانت الحكمة منها : معرفة قوة العدو وأعدادهم ، وزمن وصولهم ليعد خطته حسب التطورات الجديدة للأحداث ، وخاصة أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يتوقعون مواجهة قوية بهذه الدرجة . وقد تعددت هذه العمليات ، فتارةً يخرج النبي ﷺ بنفسه ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وتارةً يرسل أصحابه رضي الله عنهم ، وقد تمكن الصحابة رضي الله عنهم من الإمساك بغلامين لقريش ، وأتوا بهما إلى النبي ﷺ فسألهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ولا ندري ما عددهم قال : كم ينحرون من الإبل لطعامهم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : القوم ما بين التسعمئة والألف . «فانظر كيف استخلص النبي ﷺ من الغلامين عدد جيش المشركين» .

حكمة النبي ﷺ والتزامه مبدأ السرية والتورية في الحرب :

وفي المرة التي خرج فيها النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة

إذ هما بشيخ من العرب ، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه- سأل عن الجيشين زيادة في التكتم ولكن الشيخ قال : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : (إذا أخبرتنا أخبرناك) ، قال : أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به جيش المدينة . وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به جيش مكة ، ولما فرغ من خبره قال : ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، وبقي الشيخ يتفوه : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق[1]؟

ثانياً : مشاورة النبي ﷺ لأصحابه :

بعد هذا الواقع الجديد كانت حكمة النبي ﷺ أن يستشير الصحابة الذين خرجوا معه ، وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش ، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها ، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم ، وقد صوّر القرآن الكريم هذا الموقف في قوله تعالى :

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ ﴾[2]

وفي مقابل هذا الفريق الذي أبدى عدم الرغبة في الخروج ، نجد إجماعاً من قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لملاقاة العدو .

(١) ينظر : الرحيق المختوم (١/ ١٦٨) .
(٢) سورة الأنفال : ٥-٨ .

مواقف بطولية متميزة :

تعددت المواقف البطولية من أصحاب رسول الله ﷺ في هذا التوقيت الهام ، وكان من نماذج هذه المواقف :

أولاً : مجيء المقداد بن الأسود رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسى :

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (١)

ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك . فتهلل وجه النبي ﷺ وسره ما سمع من المقداد ، ثم يعود النبي ﷺ مكرراً طلب الشورى قائلاً : «أشيروا علي أيها الناس» ، وكان إنما يقصد الأنصار ، لأنهم غالبية جنده ، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة .

ثانياً : إدراك الصحابي سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وهو حامل لواء الأنصار ، مقصد النبي ﷺ من مشورته للصحابة رضي الله عنهم فنهض قائلاً : «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « أجل » . قال : (لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله ﷺ لما أردت ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله)(٢) . سرّ النبي ﷺ من مقالة سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال : «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» . فكانت هذه الكلمات مشجعةً لرسول الله ﷺ وملهبةً لمشاعر الصحابة على القتال .

---

(١) سورة المائدة : ٢٤ .

(٢) ينظر : سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام صالح بن طه عبد الواحد (١/ ٣١٧) ، ط ٢ ، مكتبة الغرباء ، الدار الأثرية ، ١٤٣٨ هـ ، قال الشيخ الألباني : إسناده حسن ، انظر : «فقه السيرة» ، ص ٢١٩ .

إن حرص النبي ﷺ على استشارة أصحابه رضي الله عنهم في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات ؛ ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم ، فإما إلى العلياء والنصر ، وإما إلى الهزيمة والضياع .

ثالثاً : مشاركة النبي ﷺ لأصحابه في تحمل المشقة والتعب :

خرج المسلمون إلى بدر وهم ثلاثمئةٍ وتسعة عشر رجلاً (٣١٩ رجـلًا) ، منهم مئة من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسان : فرس للمقداد بن الأسود ، وفرس للزبير بن العوام رضي الله عنهما وكان معهم سبعون بعيراً يتعقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، حتى رسول الله ﷺ كان له زميلان يتعاقبان معه بعيراً وهما «أبو لبابة وعلي بن أبي طالبٍ» رضي الله عنهما ، ولما جاء دور النبي ﷺ ليمشي قال أبو لبابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما : يا رسول الله ﷺ نحن نمشي عنك – ليظل راكباً – فقال : «ما أنتما بأقوى على المشي مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[1] .

المسير إلى لقاء العدو :

بعد أن رأى النبي ﷺ طاعة الصحابة وشجاعتهم ، عقد اللواء الأبيض وسلّمه إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وأعطى رايتين سوداوين إلى سعد بن معاذ ، وعلي بن أبي طالب ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة رضي الله عنهما .

اختيار المكان ورأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه :

لم يكن للمسلمين ولا للمشركين اختيار في المكان ولا في تحديد الزمان ، لقد سار المسلمون إلى ماء بدر لأنه منزل عام على الطريق ، ومضى المشركون أيضاً إلى بدر لتسمع بهم العرب ، ولا يعلمون متى يلتقون بالمسلمين . ولكن اقتضت حكمة الله تعالى تقديراً مسبقاً للزمان والمكان

(١) ينظر : سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام – صالح بن طه عبدالواحد (١/ ٣١٧) ، ط ٢ ، مكتبة الغرباء الدار الأثرية ، ١٤٢٨هـ ، وقال الشيخ الألباني : إسناده حسن ، انظر : فقه السيرة ص ٢١٩ .

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (١) (٢) .

وكان منزل المؤمنين رمالاً يعوق السير ، فأنزل الله سبحانه وتعالى مطراً خفيفًا لبّد الأرض ، وجعلها ممهدة يسهل السير فيها ، وأنزل أمامهم على قريش مطراً كثيراً عوّق سيرهم .

جاء رسول الله ﷺ ومعه المؤمنون ، فنزل على أقرب ماء من بدر ، وعرض الأمر على الصحابة وهنا قام الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، وقال : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم- أي جيش المشركين- فننزله ونغور - أي نخرب - ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فأخذ النبي ﷺ برأيه ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه ، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار» (٣) .

الأول : كيف ربى رسول الله ﷺ أصحابه على الإيجابية ، وقول الرأي متى رأى أهميته في خدمة الأمة .

الثاني : أدب الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ عند الإدلاء بالرأي .

اختار النبي ﷺ ، ذلك المنزل ، وأخذ برأي الحباب بن المنذر كاملاً ، وبنى الحوض على البئر التي اختارها ، وامتلأت ماء لأنه آل إليها كل ماء الآبار التي غورت ، ورأى المشركون ذلك فأحسوا بأنها المكيدة التي تحرمهم من الماء .

(١) سورة الأنفال : ٤٢ .

(٢) بدر الكبرى - د .عطية بن محمد سالم ، ط ٤ ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد الثاني ، ص٣٣ ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

(٣) ينظر : خاتم النبيين ﷺ - محمد أبو زهرة (٢/ ٥٥٤) ، : دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ .

ما يستفاد من الدرس :

١ – تعدد أسباب غزوة بدر وكان من أهمها : محاولة استرداد بعض ما نهبته قريش من المسلمين في مكة .

٢ – ذكاء أبي سفيان وتتبعه للأخبار مكّنه من الهروب بالقافلة .

٣ – خروج قريش لنجدة أبي سفيان وتأديب المسلمين وإظهار قوتها أمام العرب .

٤ – قيام النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بعمليات استطلاعية لمعرفة قوة العدو .

٥ – حرص النبي ﷺ على تطبيق مبدأ الشورى والأخذ به .

٦ – إظهار الصحابة رضي الله عنهم نماذج رائعة في الثبات والتضحية .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – غزوة بدر تسمى غزوة :

(الجمعان – الفرقان – الأحزاب)

٢ – عدد جيش المسلمين في غزوة بدر :

(٣١٩ رجلاً – ٣١٥ رجلاً – ٣٠٠ رجلاً)

٣ – الذي تخلف عن الخروج مع المشركين في غزوة بدر :

(أبو جهل – أمية بن خلف – أبولهب)

٤ – القبيلة التي رجعت ولم تذهب لقتال المسلمين :

(بنو زهرة – بنو عوف – بنو هلال)

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – عدّد أسباب غزوة بدر الكبرى :

أ – .....

ب – .....

ج – .....

٢ – علل : إرسال أبي سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري إلى قريش .

.....

٣ – لماذا أصر أغلب المشركين على الخروج لقتال المسلمين ؟

.....

السؤال الثالث : صوّب ما تحته خط فيما يأتي :

١ – وقعت غزوة بدر الكبرى في السنة الثالثة للهجرة . (.....)

٢ – كان عدد جيش المشركين في غزوة بدر (٨٥٠ رجلاً) . (.....)

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «ما أنتما بأقوى على المشي مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكماً

القائل : (.....)

٢- «والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً فنشرب فيها الخمور»

القائل : (.....)

٣- «يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة» القائل : (.....)

السؤال الخامس : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	حرص النبي ﷺ قبل المعركة على		ليثبت به أقدام المؤمنين
٢	لم يكن للمسلمين ولا للمشركين دخل في		إعداد الخطة ومعرفة قوة العدو
٣	أنزل الله تعالى مطراً قبل المعركة		تهديد مصالح قرش التجارية
٤			اختيار المكان أو زمان المعركة

غزوة بدرٍ الكبرى (في ساحة المعركة) (٢)

تمهيد :

اختلاف في صفوف المشركين بعد الوصول إلى بدر :

بمجرد أن وصل جيش المشركين إلى بدر حتى وقع بينهم الخلاف وتزعزعت صفوفهم الداخلية ، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «لما نزل المسلمون وأقبل المشركون ، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر ، فقال : إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا»[١] .

كان عتبة بن ربيعة يقول : يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه ، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا ، فأخذ أبو جهل يتهمه بالخوف والجبن لما رأى النبي ﷺ وأصحابه ، وقال أبو جهل : «إنما محمد وأصحابه أكلة جزورٍ[٢] لو قد التقينا . فقال عتبة : ستعلم من الجبان المفسد لقومه ، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً ، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجوههم السيوف . . . . . »[٣]

بناء عريش القيادة :

أصبح الفريقان في المواجهة ، وهنا يظهر حب الصحابة لرسول الله ﷺ وتقديمهم له على أنفسهم ، قال سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه . ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا رسول الله ﷺ ، ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١١٢) .
(٢) أكلة جزور : أي يكفيهم جزور لقلتهم (كناية عن قلة العدد) ، وينظر : أمتاع الأسماع (١ / ٢٧٧) .
(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني – أحمد أحمد غلوش ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ص٢٧٠ ، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م .

ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير[1] ، وكانت فائدة العريش : الرقابة على حركة الجنود ، والتعرف على أعمالهم جميعاً .

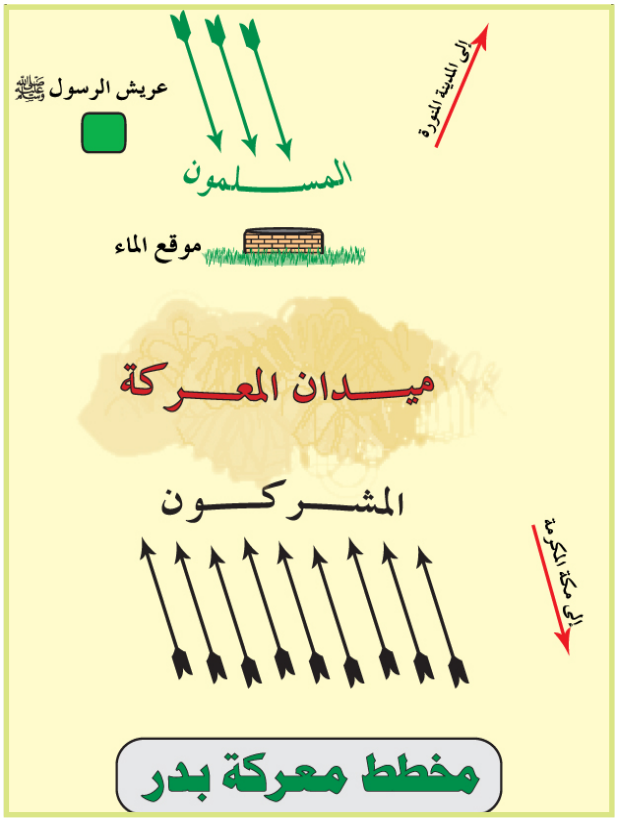

في ساحة المعركة :

بعد أن أخذ النبي ﷺ برأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه أحس المشركون بالخطة التي تحرمهم من الماء ، فأقبل الأسود بن عبد الأسد المخزومي يحلف بآلهته ليشربن من الحوض الذي صنع محمد وليهدمنّه ، فلما دنا من الحوض لقيه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فضرب رجله فقطعها ، فأقبل يحبو حتى وقع في جوف الحوض فهدم منه واتبعه حمزة حتى قتله[2] .

بداية الحرب بالمبارزة وانتصار المسلمين :

بعد مقتل الأسود بن عبد الأسد نزل عتبة بن ربيعة عن جمله حميةً ليثبت أمام الناس عدم جبنه كما اتهمه أبوجهلٍ ، ولحقه أخوه شيبة ، والوليد ابنه ، فناديا يسألان المبارزة ، فقام إليهم ثلاثة من الأنصار ، فناداهم النبي ﷺ : أن ارجعوا إلى مصافكم ، وليقم إليهم بنو عمهم ، فقام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وعلي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنه ، فبارز عبيدة رضي الله عنه -وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة رضي الله عنه شيبة بن ربيعة ، وبارز علي رضي الله عنه الوليد بن عتبة ، فأما حمزة رضي الله عنه فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي رضي الله عنه فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة رضي الله عنه وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فقتلاه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[3] .

(١) خاتم النبيين ﷺ - محمد أبو زهرة (٢/ ٥٥٦) .
(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٥٥) ، وينظر : دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١١٣) .
(٣) ينظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - محمد بن محمد بن سيد الناس (١/ ٢٩٧) ، بتصرف ، ط ١ ، بيروت ، دار القلم ، ١٤١٤/ ١٩٩٣ .

النبي ﷺ يتضرع إلى ربه تعالى ويحرّض المؤمنين على القتال :

كان النبي ﷺ بوجدانه وشعوره مع جيشه ، دائم التضرع إلى ربه داعياً : «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني» . وجعل يهتف بربه عزوجل ويقول : «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ، ويسوي عليه رداءه ، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : «يا نبي الله كفاك تناشد ربك فإنه سينجز لك ما وعدك» وفي رواية «والله لينصرنك الله ، وليبيضن وجهك »[1] .

وبجوار هذا التضرع بالدعاء كان يجتهد في بث العزيمة وتحريض الصحابة على القتال وتحذيرهم من الفرار[2] .

حكمة النبي ﷺ في القيادة والتنظيم :

كانت قيادة النبي ﷺ في غاية الحكمة والقوة ، فكان ﷺ أسوةً حسنةً لقائد الحرب ، كما هو أسوة حسنة للمؤمنين في عمله وخلقه ، قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3]

من مظاهر قيادة النبي ﷺ الحكيمة :

١ – تواجد النبي ﷺ وسط الجند في القتال يشرف عليهم ويوجههم ، ويشترك في شدائد الحرب معهم .

روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : «كنا إذا اشتد الخطب ، وحمى الوطيس واحمرت الحدق التقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ ، وهو أقرب إلى العدو» ، فالنبي ﷺ القائد كان في المعركة ولم يكن بمنأى عنها ، ويظهر

(١) ينظر : السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون – علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (٢/ ٢٢٣) ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٧هـ .
(٢) خاتم النبين ﷺ (٢/ ٥٥٦) .
(٣) سورة الأحزاب : ٢١ .

أنه لم يستقر في العريش إلا بالقدر الذى أشرف به على الجيش ، وحرك الجند ، ليتبعوا نظامه ، ثم بادر بالنزول وسط ساحة القتال .

٢ – تنظيم صفوف الجيش الاسلامي أمام العدو استجابةً لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[١]

٣ – إصدار الأوامر إلى الجيش الإسلامي ألا يحملوا على العدو إلا عندما يصدر إليهم الأمر بذلك ، كما أمرهم أن ينضحوهم بالنبل قائلاً : «إن اكتنفكم القوم ، فانضحوهم عنكم بالنبل ، فلا يقاتلون مهاجمين حتى يصدر أمره لكى يهجموا هجمة رجل واحد غير متفرقين ، ولا مانع من أن يكون النبل فرادى ، ومع ذلك كانت أوامره ألا يسرفوا في النبل قائلاً : واستبقوا نبلكم» . بل ويتخيرون من يرمونه من المشركين ، ليكون ذلك أنكى للعدو ، وأبقى للعدة .

٤ – أمره ﷺ باتخاذ شعار في الحرب وهو : « أحد أحد » حتى لا يخطئ مسلم فيقتل أخاه وقت اشتداد الحرب .

بداية المعركة :

بعد انتصار المسلمين في المبارزة أخذ النبل يرمى من الجانبين ، ورمى المسلمون نبلهم بمهارة قاصدين زعماء المشركين ، فعندما رأى المشركون ذلك هجموا ، فكان لا بد من ملاقاتهم ، وعندئذ تقدم رسول الله ﷺ يأمر جيشه بأن يحملوا على المشركين حملة رجلٍ واحدٍ ، وأخذ حفنة من ترابٍ ، فاستقبل بها قريشاً ، وقال : شاهت الوجوه ، ولفحهم بها ، ثم قال لأصحابه : شدوا . فالتحم الجيشان وجعل الله لهذه الحصباء أعظم الأثر فلم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأت عينيه ، حتى كان همهم نزع التراب من أعينهم ، وبذلك مكّن الله تعالى المسلمين منهم يقتلون ويأسرون[٢] .

---

(١) سورة الصف : ٤ .

(٢) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٥٦٢) .

أولاً : دور الملائكة في يوم بدر :

أنزل الله تعالى في يوم بدر ملائكته ؛ كي تثبت الذين آمنوا وتلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (٢)

وقال أبو داود المازني : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري (٣) ، أي قتله ملك من الملائكة .

ثانياً : من روائع الإيمان والبطولة في المعركة :

١- يروى أن النبي ﷺ كان يعدل صفوف أصحابه ، وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية ، وهو خارج عن الصف بعض الشيء فطعن ﷺ في بطنه بالقدح قائلاً : استو ياسواد ، فقال : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله تعالى بالحق والعدل ، فأقدني - أي أطلب

(١) سورة الأنفال : ١٢ .
(٢) سورة الأنفال : ١٢ .
(٣) غزوات النبي ﷺ - السيد الجميلي ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ص٣٨ ، ١٤١٦هـ .

القصاص – فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال : استقد قال : فاعتنقه فقبل بطنه ! ! فقال رسول الله ﷺ : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا رسول الله ﷺ له بخير[١] .

٢ – وهذا عمير بن الحمام رضي الله عنه لما سمع النبي ﷺ يحرّض الصحابة على القتال قائلاً : «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» .

فقال عمير بن الحمام ، وكان في يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ![٢] أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل[٣] . وفي رواية أنه قال : « إن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة» فنبذهن وقاتل[٤] .

ثالثاً : من بطولات الغلمان في المعركة :

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : «بينما أنا واقف في الصف يوم بدرٍ ، فنظرت عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما ، فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال : أُخبِرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا . . فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس ، فقلت : ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني ، فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه . قال : «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما : أنا قتلته . فقال : «هل مسحتما سيفيكما ؟» قالا : لا . فنظر في السيفين ، فقال : «كلاهما قتله»[٥] .

---

(١) ينظر : خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٥٥٩) .
(٢) بخ بخ : كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه .
(٣) ينظر : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٣٣٥) .
(٤) السيرة الحلبية – باب غزوة بدر الكبرى (٢ / ٢٢٨) .
(٥) ينظر : وامحمداه إن شانئك هو الأبتر – أبو التراب سيد بن حسين بن عبدالله العفاني (١/ ٢٣١) ، ط ١ ، مصر ، دار العفاني ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م .

رابعاً : تقديم الصحابة أخوة العقيدة على أخوة النسب :

بعد انتهاء المعركة في غزوة بدر مر مصعب بن عمير رضي الله عنه بأخيه أبي عزيز بن عمير ، الذي خاض المعركة ضد المسلمين فوقع في الأسر ، وأحد الأنصار يشد على يد أبي عزيز ، فقال : مصعب رضي الله عنه للأنصاري : شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب رضي الله عنه : إنه – أي الأنصاري– أخي دونك[1] وهذا الموقف يلفت نظرنا إلى تقديم الصحابة رضي الله عنهم لرابطة الدين على القرابة والرحم .

انتهاء المعركة وإلقاء قتلى المشركين في قليب بدر :

استشهد في غزوة بدر من أصحاب النبي ﷺ أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، وكان أول من استشهد من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وأمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين وكانوا سبعين قتيلاً ، فألقوا في قليب بدرٍ وهو قائم يسميهم بأسمائهم ويلعنهم : ثم قال ﷺ : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فقال أناس من أصحابه يا رسول الله أتنادي ناساً موتى ؟ فقال رسول الله ﷺ ما أنتم بأسمع لما قلت منهم[2] .

وينبغي أن ننتبه إلى أمر وهو أن النبي ﷺ لم يترك أجساد المشركين تأكلها السباع ، وإنما دفنهم في القليب تقديراً لإنسانيتهم رغم إيذائهم للمسلمين [3] .

النبي ﷺ يستشير الصحابة في شأن الأسرى :

استشار النبي ﷺ الصحابة في شأن أسرى المشركين وكانوا سبعين مشركاً ، وكانت سياسة النبي ﷺ تتجه إلى الاستبقاء بدل القتل ، عسى أن يسلموا ، ويكونوا قوة للإسلام فيما بعد .

وهنا يتقدم رسول الله ﷺ بهذا السؤال : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله قومك وأهلك ، استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم .

وقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، أخرجوك وكذّبوك ، قربهم فاضرب أعناقهم ؟ فدخل رسول

(١) الرحيق المختوم ، ص٢٠٣ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١١٧) باختصار وتصرف .
(٣) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٥٦٦) .

الله ﷺ ، وتركهم ملياً ، ثم خرج عليهم . فقال إن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم ، قال :

﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[1]

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح ، قال :

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[2]

كيفية تعامل النبي ﷺ مع الأسرى من المشركين في غزوة بدر :

أولاً : الفداء بالمال وكان الأكثر ، وكان ﷺ يسير في الفداء على مقدار ثروة الأسير[3]

ثانياً : قبول فداء بعض أسرى المشركين إذا قام بتعليم عشرةٍ من المسلمين القراءة والكتابة ، وخاصةً إذا كان الأسير فقيراً لا مال له يفدي به نفسه[4] .

ثالثاً : أطلق سراح بعض المشركين بدون مال وخاصةً من لم يتعرض للمسلمين في مكة بأذى[5] .

رابعاً : أمر بقتل بعض زعماء الكفر مثل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، لكثرة إيذائهم للمسلمين .

وبعد أن أخذ النبي ﷺ بالرأي القائل بالفداء بعد الشورى ، نزل قوله تعالى :

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾[6] .

وكان هذا من باب العتاب للنبي ﷺ ، حيث إنه لم يقتل هؤلاء المشركين .

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٦ .
(٢) سورة نوح : ٢٦ .
(٣) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٥٦٨) .
(٤) المرجع السابق (٢/ ٥٧٠) .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي محققاً (٣/ ١٤٠) .
(٦) المرجع السابق (٣/ ١١٩) .

ما يستفاد من الدرس .

١ – بيان حب الصحابة ﷺ للنبي ﷺ من خلال بناء العريش وحراستهم له خوفاً عليه من كرة العدو .

٢ – ظهور العديد من روائع المواقف الإيمانية والبطولية من الصحابة ﷺ في المعركة .

٣ – تحول المسلمين بعد الغزوة من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة .

٤ – تخلص المسلمين من كثير من زعماء المشركين حيث قُتِل منهم سبعون وأُسِرَ سبعون .

٥ – تقرير مبدأ «كرامة النفس الإنسانية» من خلال دفن المشركين في قليب بدر رغم إيذائهم للمسلمين .

٦ – سقوط هيبة قريش بين العرب ، وانطلاق العقول للتفكر في مبادئ الإسلام وعظمة تعاليمه .

٧ – ظهور مدى قوة العقيدة في قلوب الصحابة ﷺ حتى غلبوها على عاطفة القرابة والرحم .

٨ – استشهاد أربعة عشر رجلاً من المسلمين في المعركة ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

التقويم

السؤال الأول : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي : -

(مهجع – العزيمة – سواد بن غزية – الملائكة – الوليد بن عتبة – تمرات)

١ – بارز علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..... وقتله .

٢ – كشف النبي ﷺ بطنه لـ ..... ليقتص منه .

٣ – نزلت ..... في غزوة بدر لتثبت المؤمنين .

٤ – ألقى عمير بن الحمام ..... من يده وقاتل حتى استشهد .

٥ – بث النبي ﷺ في المؤمنين ..... وحرّضهم على القتال .

٦ – أول من استشهد من المسلمين في غزوة بـدر .....
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – لماذا أمر النبي ﷺ المسلمين باختيار زعماء المشركين لرميهم بالنبال بادئ الأمر؟

.....

٢ – ما فائدة العريش الذي أشار به سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي ﷺ ؟

.....

٣ – شارك الغلمان في غزوة بدر . . . سجل بقلمك موقفاً يدل على ذلك :

.....

السؤال الثالث : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «ما أنتم بأسمع لما قلت منهم»

القائل : (.....)

٢- « إنما محمد وأصحابه أكلة جزور لو قد التقينا»

القائل : (.....)

٣- «والله لينصرنك الله ، وليبيضن وجهك»

القائل : (.....)

السؤال الرابع : صوّب ما تحته خط فيما يأتي :

١ - شعار المسلمين في غزوة بدر «**اقتل اقتل**» . (.....)

٢ - استشهد من المسلمين في غزوة بدر **عشرون** رجلاً . (.....)

٣ - قُتِل من المشركين في غزوة بدر **ستون** رجلاً . (.....)

السؤال الخامس : اكتب ثلاثة دروس مستفادة من غزوة بدر :

١- .....

٢- .....

٣- .....

محاولة جديدة لاغتيال النبي ﷺ بعد غزوة بدر الكبرى

تمهيد :

كان لخبر هزيمة قريش في بدر أعظم الأثر على المشركين في مكة ، حتى لقد وصل بهم الأمر إلى حالة عدم التصديق للخبر بادئ الأمر ، بل واتهموا من يحدثهم عن قتلاهم في بدر بأنه لا يعقل ما يقول ، ولا يدرك ما يتفوه به .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريشٍ رجل يسمى الحيسمان بن عبد الله الخزاعي ، فلما وصل مكة قال له المشركون : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، فلما جعل يعدد أشراف قريشٍ قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد في الحجرٍ : والله إن يعقل هذا فاسألوه عني . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالس في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا [١] .

ويروى أن خبر الهزيمة لما انتشر بين الناس وعرفوا قتلاهم ، أقاموا النواح شهراً ، وجزت النساء شعورهن ، وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ، ثم أشار عليهم بعض المشركين : أن لا تفعلوا ذلك ، فيبلغ محمداً ﷺ وأصحابه فيشمتوا بكم ، كما أشار البعض عليهم بأن يتوقفوا عن البكاء حتى نأخذ بثأر القتلى ، وتواصوا على ذلك [٢] كما تواصوا بعدم التعجل في فداء الأسرى ؛ حتى لا يغالي عليهم النبي ﷺ في فداء أسراهم [٣] .

أثر خبر هزيمة المشركين على أبي لهب واعتداؤه على أبي رافع :

كان أبو لهب قد تخلف عن الذهاب إلى القتال في بدر ، واستأجر مكانه العاصي بن هشام ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدرٍ من قريشٍ ، حل به من الهم والحزن شيء عظيم .

(١) ينظر : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء – سليمان بن موسى الكلاعي (١/ ٣٤٦) ، وينظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – محمد بن يوسف الصالحي الشامي (٤/ ٦٦) .
(٢) السيرة الحلبية – علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (٢/ ٢٥٩) .
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠) .

وكان أبو رافع غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان قد أسلم سراً هو وأم الفضل زوجة العباس ، فلما وصلهم الخبر ، يقول أبو رافع : وجدنا في أنفسنا قوة وعزاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً . وكنت أعمل الأقداح ، أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي ، وعندي أم الفضل - زوجة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ - جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهبٍ يجر رجليه بشر . حتى جلس ، فكان ظهره إلى ظهري . فبينما هو جالس إذ تحدث الناس عن مجيء المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب قال : فقال أبو لهب : هلم إلي ، فعندك لعمري الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يابن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً ، على خيل بُلْق ، بين السماء والأرض ، والله ما تُليق شيئاً[1] ، ولا يقوم لها شيء .

فقال أبو رافع : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهبٍ يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة . قال : وثاورته[2] فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك علي يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً . فقامت أم الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة ، فأخذته فضربته فشجت في رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مُولياً ذليلاً ، ولم يعش بعد ذلك إلا أياماً قليلة ثم مات [3] .

مؤامرة لاغتيال النبي ﷺ :

كان مشركو مكة يتحرقون غيظاً وغضباً لما أصابهم في بدر ، وكان التفكير في الانتقام لا يتوقف ولا يفتر ساعة ، حتى تقابل رجلان من رجالها وهما : عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية ، في الحجر بعد وقعة بدر بيسير - وكان عمير من شياطين قريش ، ممن كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة - وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكرا أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان والله ما في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت والله ، أما والله

(١) ما تليق : لا تبقى شيئاً .
(٢) ثاورته : وثبت إليه .
(٣) ينظر : سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٠) باختصار وتصرف .

لولا دين علي ، ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة ، ابني أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان وقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي ، أواسيهم ما بقوا ، يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم عني شأني وشأنك . قال : أفعل . أعد عمير بن وهب عدته ، ثم أمر بسيفه ، فشحذ له وسم[1] ثم انطلق متوجهاً إلى المدينة ، يتظاهر بأنه ذاهب لفداء ابنه الأسير ، ولكن نيته قتل النبي ﷺ .

الحس الأمني عند الصحابة وحبهم لرسول الله ﷺ :

وصل عمير بن وهب إلى المدينة ، وبينما هو على باب المسجد ينيخ راحلته ، رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في نفر من المسلمين يتحدثون ما أكرمهم الله به يوم بدر ، فلم يمر الأمر على عمر رضي الله عنه مروراً عابراً ، وإنما أدرك بحسه الأمني ، وحبه لرسول الله ﷺ أن هذا الرجل لا يأتي لخير ، فقال عمر رضي الله عنه : هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر ، ثم دخل على النبي ﷺ ، فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله علي ، فأقبل عمير فلببه بحمالة سيفه ، وقال لرجل من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون .

حوار رفيق بين النبي ﷺ وعمير بن وهب ينتهي بإسلامه :

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي بعمير بن وهب ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال : «أرسله يا عمر ، ادن يا عمير . فدنا وقال : أنعموا صباحاً ، فقال النبي ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام ، تحية أهل الجنة» .

ثم قال : «ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .

قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟

قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك .

---

(١) ينظر : سيرة ابن هشام (١/ ٦٦١) .

قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك » .

قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فو الله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم تشهد شهادة الحق[1] .

فقال رسول الله ﷺ : «فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره» ، ففعلوا ثم قال عمير : يا رسول الله إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم ! وإلا آذيتهم في دينهم ، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم[2] .

وأما صفوان فكان يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل الركبان عن عمير ، حتى أخبره راكب عن إسلامه ، فحلف صفوان ألا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً . ورجع عمير إلى مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام فأسلم على يديه ناس كثير[3] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – مفاجأة مشركي مكة وذهولهم من خبر هزيمتهم وموت زعمائهم .

٢ – غضب أبو لهب وضربه لأبي رافع غلام العباس لتحدثه عن الملائكة في بدر .

٣ – حرص زعماء قريش على الانتقام من النبي ﷺ وتدبير المؤامرات لقتله .

٤ – اتفاق عمير بن وهب وصفوان بن أمية على قتل النبي ﷺ .

٥ – بيان مدى حب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ وحرصهم على سلامته .

٦ – حسن معاملة النبي ﷺ لعمير بن وهب حوّلته من عدوٍ للإسلام إلى داعٍ إليه .

---

(١) ينظر : الرحيق المختوم ، ص٢١٣ .

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني – د . أحمد غلوش ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ص٣٠٤ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤ م .

(٣) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري (١/ ٣١٥) ، وينظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام – أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (٥/ ١٤٠) ، وينظر : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٣٥٥) .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- إسلام أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب سراً . ( )

٢- فَرحُ أبي لهب بعد علمه بما حدث للمشركين في بدر . ( )

٣- تصديق قريش لخبر هزيمتهم في بدر أول ما سمعوه . ( )

٤- تحوّل عمير بن وهب إلى داعٍ للإسلام بعد حوار النبي ﷺ معه . ( )

السؤال الثاني : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن»

القائل (.....)

٢- «لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة»

القائل (.....)

٣-«لقينا رجالاً بيضاً ، على خيل بُلْق ، بين السماء والأرض»

القائل (.....)

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١ - ماذا فعلت أم الفضل بأبي لهب بعد ضربه لأبي رافع ؟

.....

٢ – بم أمر النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم أن يفعلوا مع عمير بن وهب بعد إسلامه ؟

.....

٣ – ما الحكمة من طلب عمير بن وهب رضي الله عنه من النبي ﷺ أن يرجع إلى مكة ؟

.....

٤ – ما الخبر السار الذي كان يُمنِّي به صفوان بن أمية أهل مكة ؟

.....

السؤال الرابع : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

م	المجموعة (أ)	م	المجموعة (ب)
١	أول من قدم مكة بخبر هزيمة قريش في بدر		ضعيفاً ينحت الأقداح بحجرة زمزم
٢	أبو رافع غلام العباس كان رجلاً		الحيسمان بن عبد الله الخزاعي
٣	رجع عمير بن وهب إلى مكة بعد إسلامه		ليدعو الناس إلى الإسلام
٤	إمساك عمر رضي الله عنه بعمير بن وهب		لاضطهاد أهل مكة وقتلهم
٥			دلالة على ارتفاع الحس الأمني عند الصحابة

غزوة بني قينقاع

تمهيد :

عقد رسول الله ﷺ مع قبائل اليهود بعد الهجرة معاهدةً تقتضي التناصر والتعاون ضد أي اعتداء على المدينة ، كما حدد لهم رسول الله ﷺ الحقوق التي لهم ، والواجبات التي عليهم في إطار واضح ، أساسه : «لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين» . فلم يوفوا بالمعاهدة ، وتآمروا ضد المسلمين ، وأكل الحقد قلوبهم بسبب انتصار المسلمين في غزوة بدر ، وكان بنو قينقاع من أشد اليهود عداوة لله ورسوله وكانوا يسكنون وسط المدينة ، ويشتغلون بصناعة الذهب والحديد ، فلما انتصر المسلمون في «بدر» بدؤوا يظهرون حقدهم ، ويثيرون المشاحنات مع المسلمين[1] .

بنو قينقاع يظهرون العداوة ويهددون النبي ﷺ :

أظهر بنو قينقاع الغضب والحسد بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر ، وجاهروا بعداوتهم للمسلمين ، فجمعهم النبي ﷺ في سوقهم بالمدينة ونصحهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، وحذّرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشاً في بدر ، غير أنهم واجهوا النبي ﷺ بالتحدي والتهديد وردوا عليه قائلين : «يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا» .

وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل بسبب ما أظهروه من روح العداء والاستكبار والاستعداد للقتال ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله تعالى :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

(١) ينظر : السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني – أحمد غلوش ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، ص٣٠٩ ، ٣١٠ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

(٢) سورة آل عمران : ١٢-١٣ .

أسباب الغزوة :

١- إظهار بني قينقاع العداوة والبغضاء للنبي ﷺ والمسلمين بعد انتصارهم في غزوة بدر .

٢- التطاول على النبي ﷺ والمسلمين بالسب والشتم .

٣- الاعتداء على المرأة المسلمة في سوق بني قينقاع .

فقد أخذ بنو قينقاع يتحينون الفرصة لمناوشة المسلمين ، حتى جاءتهم فرصتهم الحقيرة وهي : أن امرأةً مسلمةً جاءت بشيء تريد بيعه بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ يهودي ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار وحاصرهم .

ويستفاد من ذلك الموقف :

١- تأكيد الإسلام على قيمة المرأة .

٢- وجوب المحافظة على حرمة المرأة في الإسلام .

٣- تأديب من يحاول الاعتداء على المرأة المسلمة .

تاريخ غزوة بني قينقاع وأحداثها :

سار النبي ﷺ إلى بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة[١] .

وحمل لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر

وحين سار إليهم رسول الله ﷺ نبذ إليهم العهد كما أمره الله تعالى في قوله :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٢] .

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص٤٥٤ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .

ثم ضرب الحصار عليهم ، وحين علم اليهود بمقدمه تحصنوا في حصونهم ، فحاصرهم النبي ﷺ خمس عشرة ليلة ، واستمر الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب واضطروا للنزول على حكمه ﷺ[١] .

حكمة النبي ﷺ في حصار بني قينقاع :

كان لعامل المفاجأة أعظم الأثر على اليهود ، حيث استطاع النبي ﷺ أن يربكهم ويوقعهم في حيرة من أمرهم ، بعد أن قطع عنهم كل مددٍ ، وجمّد حركتهم ، فعاشوا في سجن مما جعلهم في النهاية ييأسون من المقاومة والصبر ، فبعد أن كانوا يهددون رسول الله ﷺ ، ويدعون أنهم يختلفون بأساً وشدةً عن مشركي قريش ، إذا بهم يضطرون للنزول على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم رسول الله ﷺ فربطوا ، فكانوا يُكتّفون أكتافاً[٢] .

دور عبدالله بن أُبيّ في غزوة بني قينقاع :

كان لعبدالله بن أبيّ بن سلول دور في غزوة بني قينقاع ، حيث كان حليفاً لهم ، فأراد أن يحل حلفاءه من وثاقهم ، فعندما مر عليهم قال : حلوهم ، فقال المنذر بن قدامة السلمي : أتحلون قوماً ربطهم رسول الله ﷺ؟ والله لا يحلهم رجل إلا ضربت عنقه . فاضطر عبد الله بن أُبيّ أن يتراجع عن أمره ويلجأ إلى استصدار الأمر من النبي ﷺ بفك أسرهم ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أحسن في موالي – وكانوا حلفاء الخزرج – قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد أحسن في موالي ، قال : فأعرض عنه ، فأدخل ابن أُبيّ يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : «أرسلني» ، وغضب رسول الله ﷺ ، حتى رأوا لوجهه ظللاً[٣] ثم قال : ويحك أرسلني . قال : لا والله ، لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمئة حاسر[٤] وثلاثمئة دارع[٥] قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله : «هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها» .

(١) ينظر : الرحيق المختوم ، ص١٧٢ .
(٢) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص٤٥٥ .
(٣) ظللاً : جمع ظلة وهي السحابة ، استعارة لتغير الوجه عند الغضب .
(٤) الحاسر : الذي لا درع له .
(٥) الدارع : لابس الدرع .

عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتبرأ من حلف اليهود ويوالي الله تعالى ورسوله ﷺ :

كان الفرق واضحاً بين ابن سلول الذي تمسّك بالحلف مع اليهود ، حتى أغضب النبي ﷺ بكلامه وأفعاله ، وبين عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث تبرأ من الحلف معهم لما نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله ، إني أبرأ إلى الله من حلف يهود وولائهم ، ولا أوالي إلا الله ورسوله ، وقال عبد الله بن أُبيّ : أما أنا فلا أبرأ من ولاء يهود ، فإني لا بد لي منهم ، إني رجل أخاف الدوائر .

ولقد كان عبد الله بن أُبيّ ، وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم بمنزلة واحدة في الحلف ، ولكن الفرق واضح بين من انغمس في النفاق ، وبين عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تربى على المنهاج النبوي فصفت نفسه ، وتطهّر قلبه ، فتخلص من آثار العصبية الجاهلية ، والأهواء ، والمصالح الذاتية ، وقدم مصلحة الإسلام على كل مصلحة ، فكان مثلاً حيّاً للمسلم الصادق ، المخلص لعقيدته[1] .

وفي شأن ابن سلول وعبادة بن الصامت أنزل الله تعالى قوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾[2]

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص٤٥٨ .
(٢) سورة المائدة : ٥١-٥٦ .

خروج «بني قينقاع» من المدينة :

أمهل النبي ﷺ بني قينقاع ثلاثة أيام يخرجون خلالها ولا يزيدون عليها ، وتولى جمع أموالهم وإحصاءها محمد بن مسلمة . فخرجوا تاركين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغونه حتى بلغوا (وادي القرى)[١] ، وبقوا هناك زمناً ، ثم احتملوا ما معهم وساروا صوب الشمال حتى بلغوا (أذرعات) على حدود الشام . فأقاموا بها ، ولم يبقوا فيها طويلاً حتى هلك أكثرهم ، وبذلك تخلص المسلمون من هذا العدو الذي كان يعيش بين ظهرانيهم ، فينقل أخبارهم ويكشف أسرارهم لأعدائهم المشركين[٢] .

وهكذا خرج «بنو قينقاع» من المدينة صاغرين قد ألقوا سلاحهم وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين ، وهم كانوا من أشجع يهود المدينة ، وأشدهم بأساً ، وأكثرهم عدداً وعدّة ؛ ولذلك لاذت القبائل اليهودية بالصمت والهدوء فترة من الزمن بعد هذا العقاب الرادع ، وسيطر الرعب على قلوبهم خوفاً من قوة المسلمين[٣] .

نتائج وعبر مستفادة من غزوة «بني قينقاع» :

١ – ترك التهاون مع العدو إذا غلب على الظن غدره وخيانته .

٢ – تقرير مبدأ مفاجأة العدو حتى لا يأخذ الحذر ويستعد بالسلاح .

٣ – بيان حرمة المرأة المسلمة وعظم شأنها في المجتمع المسلم .

٤ – الحذر من أهل النفاق وبيان خطورتهم على المجتمع الإسلامي .

٥ – وجوب موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ والذين آمنوا والتبرؤ من أعداء الإسلام .

٦ – تأديب من يظهر العداوة للمسلمين يعطي رادعاً لغيره من الأعداء .

٧ – خوف سائر القبائل اليهودية من قوة المسلمين بعد درس بني قينقاع .

---

(١) وادي القرى : موضع جنوبي خيبر وبين المدينة المنورة وخيبر .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٧٤) ، وينظر : الرسول القائد – محمود شيت خطاب ، ط ٦ ، بيروت ، دار الفكر ، ص ١٥٥ ، ١٤٢٢هـ .

(٣) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٤٥٧ .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – خرج النبي ﷺ إلى بني قينقاع في شهر :

(شوال – رجب – المحرم)

٢ – توجه بعض يهود بني قينقاع بعد خروجهم من المدينة إلى :

(مكة – الكوفة – أذرعات)

٣ – استمر حصار النبي ﷺ ليهود بني قينقاع :

(ثلاثة عشر يوماً – تسعة عشر يوماً – خمسة عشر يوماً)

٤ – الذي تبرأ من حلفه مع اليهود :

(أسيد بن حضير – عبادة بن الصامت – أسعد بن زرارة)

٥ – حمل لواء المسلمين في غزوة بني قينقاع :

(أبو لبابة – حمزة بن عبد المطلب – أبو ذر)

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – ما أسباب غزوة بني قينقاع ؟

.....

.....

.....

٢ – من الذي استخلفه النبي ﷺ على المدينة عند خروجه لبني قينقاع ؟

.....

٣ – ما أثر خروج يهود بني قينقاع على قبائل اليهود في المدينة ؟

.....

السؤال الثالث : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(حـذرهـم – أعـداء الإسـلام – المـرأة المسـلمـة – بـدر – الخـنـدق)

١ – قرر النبي ﷺ مفاجأة بني قينقاع حتى لا يأخذوا .....

٢ – تآمر اليهود وأكل الحقد قلوبهم بعد انتصار المسلمين في غزوة .....

٣ – الواجب على المسلم موالاة المؤمنين والتبرأ من موالاة .....

٤ – سار النبي ﷺ إلى بني قينقاع وأجلاهم من المدينة انتصاراً لكرامة .....

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١– «هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها»

القائل : (.....)

٢–«إني والله امرؤ أخشى الدوائر»

القائل : (.....)

٣– «إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس»

القائل : (.....)

السؤال الخامس : اكتب درسين من الدروس المستفادة من غزوة بني قينقاع .

١ – .....

٢ – .....

الوحدة الثانية

١ – القيادة المسلمة تؤدب مثيري
الفتنة في المجتمع المسلم ٠
٢ – غزوة أحد « الجولة الأولى » (١)
٣ – غزوة أحد « الجولة الثانية » (٢)
٤ – غزوة حمراء الأسد
٥ – محاولات المشركين لزعزعة الدولة الإسلام بعد غزوة أحد

القيادة المسلمة تؤدب مثيري الفتنة في المجتمع المسلم

تمهيد :

إن خطر المحرضين على الفتنة في المجتمع الإسلامي ، لا يقل عن خطر الذين يشهرون السيوف لقتال المسلمين ، إذ لولا هؤلاء المحرضون لما قامت الفتنة ، لذلك أخذ رسول الله ﷺ يتتبع هؤلاء المحرضين ويقتلهم إطفاء لنار الفتنة ، وتمكيناً للحق[1] ، وقد أمر رسول الله ﷺ بقتل بعضهم بعد غزوة بدر ، وكان من أخبثهم وأخطرهم على الإسلام :

أولاً : أبو عفك اليهودي لعنه الله تعالى :

كان المسلمون إلى حين نصرهم الله ببدر يخشون مواطنيهم من أهل المدينة ، فلا تبلغ منهم الجرأة على رد الاعتداء على من يعتدي عليهم ، وكان أبو عفك[2] اليهودي – أحد بني عمرو بن عوف – ، رجلاً كبيراً في السن ، وكان قد امتلأ قلبه بالحقد والحسد على الإسلام والمسلمين ، وخاصةً لما يرى من التفاف الأوس والخزرج على نصرة رسول الله ﷺ ، وازداد كيده بالإسلام وأهله بعد أن رأى رسول الله ﷺ يزداد قوة وتمكيناً في المدينة وما حولها بعد غزوة بدر ، فلم يطق لذلك صبراً ، فأخذ ينشد الشعر يهجو به رسول الله ﷺ ويحرّض على عداوته ، ويسفه رأي الأنصار لمتابعتهم رسول الله ﷺ ومناصرته .

فلما رأى رسول الله ﷺ أنه متمادٍ في غيّه ، لدرجة أنه يريد تأليب الناس عليه ، وإثارة الفتنة والشقاق بين المسلمين ، ندب الصحابة لقتله قائلاً : «من لي بهذا الخبيث»[3] ، وهنا يتجلى الإيمان في أروع مظاهره ، فلا يتطوع لقتل أبي عفك ذلك الخبيث إلا رجل من قومه ، ذلكم هو سالم بن عمير رضي الله عنه من بني عمرو بن عوف ، حيث نذر على نفسه ليقتلنّه أو يموت دونه ، فقام بإعداد خطة

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٤٥٨ .
(٢) العفك : بفتح العين المهملة وبالفاء وبالكاف : أي الحمق أي أبي الحمق اليهودي .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٤٣٨) .

محكمة للقضاء عليه دون أن يشعر به أحد من أشياعه ، فأمهل يطلب له غرة – أي غفلة – حتى كانت ليلة صائفة ، فنام أبو عفك بفناء بيته ، وعلم به سالم بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فأقبل فوضع السيف على كبده ، ثم اعتمد عليه حتى نفذ في الفراش ، وصاح عدو الله ، فتركه سالم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مضرجاً بدمائه يخور كالثور ، حيث ثاب إليه ناس من أصحابه ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزله ، ودفنوه[1] .

ثانياً : كعب بن الأشرف اليهودي لعنه الله :

كان كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان : شاعراً جاهلياً ، وكانت أمه من بني النضير ، فدان باليهودية ، وكان سيداً في قومه ، وكان يقيم في حصن له قريب من المدينة ، أدرك الاسلام ولم يسلم[2] . وليته اكتفى بعدم الإسلام ، لا بل لقد أخذ يحرّض على النبي ﷺ ويظهر العداوة للإسلام والمسلمين .

أعمال كعب بن الأشرف العدائية ضد النبي ﷺ والمسلمين :

كان لكعب بن الأشرف الكثير من الأعمال العدائية ضد النبي ﷺ والإسلام والمسلمين ، وكان من أقبح هذه الأعمال :

١ – الاكثار من هجاء النبي ﷺ وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٢ – استخدام موهبته الشعرية للخوض في أعراض المسلمات ، كالخوض في عرض أم الفضل ، زوجة العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عم النبي ﷺ ، بل ويهجو العباس بِشِعْرِه القبيح ، وفي ذلك يقول عن العباس وزوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

أراحل أنت ، لم ترحل لمنقبة . . . وتارك أنت أم الفضل في الحرم
إحدى بني عامر هام الفؤاد بها . . . ولو تشاء شفت كعباً من السقم
لم أر شمساً بليل قبلها طلعت . . . حتى تبدت لنا في ليلة الظلم[3]

---

(١) السرايات والبعوث النبوية حول المدينة ومكة بريك بن محمد بريك ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، ص ١٣١ ، جمادي الأول ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، وينظر : السيرة الحلبية (٣/ ٢٢٣) بتصرف ، وينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٤٥٩ .

(٢) الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٥) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي محققاً (٣/ ١٩٤) ، وينظر : الأعلام للزركلي (٥/ ٢٣٩) .

ومن المعروف أن المجتمع العربي والإسلامي لا يقبل مثل هذا الخوض في أعراض النساء ، فما بالنا إذا كانت هي أم الفضل رضي الله عنها .

٣- تحريض القبائل على قتال النبي ﷺ والمسلمين ، إذ يروى أنه لما بلغه خبر انتصار المسلمين في بدر قال لعنه الله : ويلكم ، أحق هذا ؟ هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس . ثم خرج إلى مكة في ستين راكباً من بني النضير إلى قريشٍ من مكة ، فقال لهم أبو سفيان : ما جاء بكم ؟ ، قال كعب : أتيناك لنحالفك على قتال هذا الرجل ، وعلى عداوته – يقصد رسول الله ﷺ – قال أبو سفيان : مرحباً بكم وأهلاً ، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة هذا الرجل وقتاله ، قال له كعب : فأخرج ستين رجلاً من بطون قريش كلها وأنت فيهم يا أبا سفيان فلندخل نحن وأنتم بين أستار الكعبة ، فلنلصق أكبادنا بها ، ثم لنحلف بالله جميعاً : أن لا يخذل بعضنا بعضاً ، ولتكون كلمتنا واحدة على هذا الرجل وأصحابه – يقصد النبي ﷺ – ما بقي منا ومنهم رجل . ففعلوا ذلك وتحالفوا ، وواعده أبو سفيان أن يأتيه العام المقبل .

ولقد وصل حقده على الإسلام أن أقسم لأبي سفيان أن عبادة الأوثان خير من دين محمد ﷺ وذلك لما قال له أبو سفيان : «أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمدٍ وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟» . فقال ابن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً .

فانظر إلى هذا الكلام حينما يصدر عن رجل من أهل الكتاب ، يفترض أنه يؤمن بالله الواحد الأحد ، ويؤمن بنبي الله موسى عليه السلام ويؤمن بالتوراة ، ولكنه قد أعماه الحقد حتى أقسم أن الوثنية خير من الإسلام القائم على توحيد الله تعالى .

ثم خرج مقبلاً قد أجمع رأي المشركين على قتال رسول الله ﷺ معلناً بعداوة رسول الله ﷺ وهجائه ، فقال رسول الله ﷺ : «من لنا من ابن الأشرف قد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وخرج إلى قريشٍ فأجمعهم على قتالنا ، قد أخبرني الله عز وجل بذلك» . ثم قرأ رسول الله ﷺ على المسلمين ما أنزل الله تعالى فيه :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[1]

وقد بلغ به الأمر أن حرّض المشركين في مكة على قتال المسلمين للأخذ بثأر قتلاهم في غزوة بدر مستخدماً موهبته الشعرية ، فتصدى له حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِشِعْرِه القوي ، بأمر من النبي ﷺ ، وقد آتت أشعار حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثمارها في هجاء كعب بن الأشرف وهجاء من ينزل عنده من أهل مكة ، حتى كان المشركون يخرجونه من بيوتهم خوفاً من هجاء حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حتى رجع راغماً بعد أن ضاقت به السبل ينتظر جزاءه الذي يستحقه[2] .

النبي ﷺ يأمر بقتل كعب بن الأشرف :

رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ، ونزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على النبي ﷺ فأخبره بخبر كعبٍ وأبي سفيان والذي صنعوا ، وأمر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله ﷺ بقتل كعبٍ بن الأشرف .

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : «من لي بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة : أنا لك به يا رسول الله ،أنا أقتله ؛قال : فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلقُ به نفسه ، فَذُكِر ذلك لرسول ﷺ ، فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد . – وهذا يلفت نظرنا إلى تقدير الصحابة لقيمة الكلمة – فقال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول – أي نقول كلاماً نظهر فيه أننا نعاديك ونكرهك حتى يطمئن لنا كعب – قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حل من ذلك . فاجتمع في قتله خمسة من الصحابة منهم محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلام بن وقشٍ وهو أبو نائلة ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وثلاثة آخرون من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

---

(١) سورة النساء : ٥١ .

(٢) ينظر : الروض الأنف (٥/ ٣٩٨) ، وينظر : دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٨٩) .

خطة قتل كعب بن أشرف :

توجه محمد بن مسلمة رضي الله عنه إلى دار ابن الأشرف ، في بني النضير ، يصحبه أربعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وعندما اقتربوا من داره بعثوا إليه أحدهم ، أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، ثم قال أبو نائلة : ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتك بحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني . أجاب كعب : أفعل . قال أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ بلاءً علينا ، عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهدت عيالنا[1] .

فقال كعب بن الأشرف : أما والله لقد كنت أخبرتك أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول فقال أبو نائلة : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك .

وطلب كعب أن يرهنوه أبناءهم ، فأقنعه أبو نائلة أن ذلك مما لا ترضاه العرب ، وأن من الأفضل لو يجعل الرهن سلاحاً - وكان هدفه ألا ينكر كعب وجماعته السلاح إذا جاءهم به - فوافق كعب على ذلك . وفي بقيع الغرقد اجتمعوا بالرسول ﷺ وتلقوا منه التعليمات وقال لهم : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم . فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن كعب .

ولما وصل الصحابة رضي الله عنهم إلى حصن كعب ناداه أبو نائلة ، فنزل إليهم وتحدث معهم ساعة ، حتى إذا توغلوا بعيداً عن مساكن اليهود ، أخذ أبو نائلة برأسه وصاح : اضربوا عدو الله ، فصرخ كعب صرخة لم يبق من جرائها حصن يهودي إلا أوقدت عليه النار ، وما لبثت سيوف المسلمين أن تناوشته وأجهزت عليه ، وقفلوا عائدين ، وسرعان ما تبدت ردود فعل اليهود إزاء مقتل فارسهم وشاعرهم خوفاً وجبناً .

وكان من نتائج ذلك أنه لم يبق في المدينة يهودي إلا وهو يخاف على نفسه ، ودفعهم الفزع إلى مقابلة الرسول ﷺ حيث قالوا له : قد طرق صاحبنا الليلة ، وهو سيد من ساداتنا ، قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه . فأجابهم الرسول ﷺ : إنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما

(١) تذكر أن الصحابة استأذنوا النبي ﷺ في مثل هذا الكلام ليتمكنوا من عدو الله ، وأذن لهم ﷺ لما في ذلك من المصلحة .

اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان له السيف ، ثم ما لبث أن عرض عليهم أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه ، فأجابوه إلى ذلك حيث أصابهم الخوف والذل [1] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – انتصار المسلمين في غزوة بدر أظهر حقد الكثيرين من أعداء الإسلام .

٢ – تأديب المتطاولين على الإسلام ومثيري الفتنة في المجتمع وردعهم .

٣ – اعتداء أبي عفك اليهودي على النبي ﷺ والمسلمين كان سبباً في قتله والتخلص من شره .

٤ – تعدد أعمال كعب بن الأشرف اليهودي العدائية ضد النبي ﷺ والمسلمين .

٥ – حرص الصحابة رضي الله عنهم على تنفيذ أوامر النبي ﷺ ونصرة الإسلام .

٦ – مقتل كعب بن الأشرف أدى إلى خوف اليهود وتراجعهم عن التطاول وإثارة الفتنة .

٧ – ضرورة مراعاة مصلحة الإسلام في جواز الكذب على العدو والنيل منه .

(١) ينظر : الروض الأنف (٥/ ٤٠٠) ، وينظر : دراسة في السيرة ، ص ٢٨١ .

التقويم

السؤال الأول : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي : -

(بالسلاح – بالشعر – وفائه – أبو عفك – أبي سفيان – أبي جهل)

١ – تصدى حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .....لكعب بن الأشرف .

٢ – .....يهودي من بني عمرو بن عوف امتلأ قلبه حقداً على الإسلام .

٣ – نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَام على النبي ﷺ وأخبره بما حدث بين ..... وكعب بن الاشرف .

٤ – ترك محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطعام والشراب خوفاً من عدم .....بما وعد به النبي ﷺ .

السؤال الثاني : علل ما يأتي :

١ – أمر النبي ﷺ بقتل بعض أعداء الإسلام من اليهود :

.....

٢ – استئذان محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ في إظهار العداوة للإسلام أمام كعب بن الأشرف :

.....

السؤال الثالث : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «من لي بهذا الخبيث؟»

القائل : (.....)

٢- «أتيناك لنحالفك على قتال هذا الرجل ، وعلى عداوته»

القائل : (.....)

٣- «قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا»

القائل : (.....)

السؤال الرابع - ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

م	المجموعة (أ)	م	المجموعة (ب)
١	خطر المحرضين على الفتنة في المجتمع :		بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر .
٢	ازدياد حقد أبي عفك اليهودي :		لا يقل عن خطر الذين يشهرون السيوف
٣	استخدام كعب بن الأشرف موهبته الشعرية :		في الخوض في أعراض المسلمات .
٤	جواز الكذب على الأعداء :		عند تحقق مصلحة للإسلام من وراء ذلك

غزوة أحد «الجولة الأولى»

تمهيد :

مضى عام كامل على مشركي قريش بعد هزيمتهم في غزوة بدر ، وهم يتوجعون على قتلاهم ، ويهيئون أنفسهم ليوم آخر يستردون فيه كرامتهم ، ويأخذون بثأرهم ، ويسترجعون هيبتهم بين قبائل العرب[١] .

تاريخ غزوة أحد وأسبابها :

خرج النبي ﷺ لسبع خلون من شوال سنة ثلاث من الهجرة ومعه أصحابه[٢]

أسباب الغزوة :

١ – محاولة قريش الثأر لقتلاها في غزوة بدر .

٢ – سعي قريش لاستعادة هيبتها ومكانتها بين القبائل العربية .

٣ – عمل قريش على تأمين طريق تجارتها إلى بلاد الشام حتى لا يتعرض لها المسلمون .

استعداد قريش وخروجها للمعركة :

استعدت قريش لهذه الحرب بعدة أمور من أهمها :

١ – **المال :** حيث رصدت أرباح القافلة التي هرب بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لغزوة بدر .

٢ – **الخروج بالنساء :** معهن الدفوف يغنين لهم ويحرضنهم على القتال وعدم الفرار في الحرب .

٣ – **الاستعانة بالقبائل المجاورة المتحالفة مع قريش :** حيث أرسلت إلى قبائل البدو والأحابيش[٣] لتشترك معها وتعينها ، فاجتمع من ذلك كله (ثلاثة آلاف رجل) ومعهم ما يلزمهم من العدة

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين – محمد الطيب النجار ، بيروت ، لبنان ، دار الندوة الجديدة ، ص ٢٤٠ .

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٩٤) .

(٣) والأحابيش الذين حالفوا قريشاً ، وهم : بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، اجتمعوا عند حبشي ، وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشي مكانه ، فسموا أحابيش باسم الجبل . وقيل سموا بذلك لتحبشهم : أي تجمعهم .

والسلاح ، وفيهم مئتا فارس وثلاثة آلاف بعير وسبعمئة دارع[١] .

٤ - **الاستعانة بالشعراء** : كي يحرضوا المقاتلين على الحرب ، مثل أبي عزة الشاعر رغم معاهدته النبي بعدم خروجه ضده بعد إطلاق سراحه في غزوة بدر ، ولكنه خان العهد حيث أغراه صفوان بن أمية بالمال وقال له : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، ولك علي إن رجعت أن أغنيك[٢] .

٥ - **الاستعانة بأصحاب المهارات الحربية** : مثل وحشي ذلك العبد الحبشي الذي تمكن من قتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه بحربته التي كان يقذف بها فلا يخطئ[٣] .

وخرج مشركو قريش والحقد يملأ قلوبهم ، حتى إذا بلغوا الأبواء ومروا بقبر آمنة بنت وهب - أم النبي ﷺ - ، دفعت الحمية بعض الطائشين منهم إلى التفكير في نبشه ، لولا أن العقلاء منهم تداركوا هذا الأمر ، حتى لا ينبش المسلمون موتاهم إذا تهيأت لهم فرصة الانتقام ، ثم تابعت قريش مسيرها حتى نزلت عند بعض السفوح من جبل أحد على بعد خمسة أميال من المدينة[٤] .

وصول الخبر إلى رسول الله :

كان العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ واقفاً على ما تدبره قريش للنبي ﷺ ، ومطلعاً على كل صغيرةٍ وكبيرةٍ من أمرهم ، وكان لا يزال مشركاً ، ولكن عاطفة القرابة جعلته يرسل كتاباً إلى النبي ﷺ قبل أن يفاجئه أعداؤه ، فاستأجر رجلاً من بني غفار وأرسل معه كتاباً إلى النبي ﷺ يخبره بخبر تجهز قريش لحربه[٥] .

فكان هذا الموقف الكريم عملاً جليلاً للعباس يضاف إلى أعماله الجليلة السابقة التي قام بها قبل إسلامه حباً في ابن أخيه محمد[٦] . ويقال كذلك إن عمرو بن سالم الخزاعي مع نفر من خزاعة فارقوا قريشاً من ذي طوى وجاؤوا إلى النبي ﷺ وأخبروه خبرهم وانصرفوا .

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤١ ، وينظر : السيرة الحلبية - علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (٢/ ٢٩٥) .
(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٩٦) .
(٣) ينظر : المرجع السابق (٢/ ٢٩٦) .
(٤) ينظر : القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤٢ .
(٥) السيرة الحلبية (٢/ ٢٩٦) .
(٦) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤٢ .

النبي ﷺ يستطلع الأخبار ويتأكد من صحتها :

لما وصلت أخبار تحرك قريش إلى المدينة ، بعث رسول الله ﷺ رجالاً من أصحابه فاستطلعوا الخبر وتأكدوا من صحته ، ومن ثم بدأ المسلمون يأخذون حذرهم حتى بات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ حتى أصبحوا .

النبي ﷺ يستشير الصحابة في الأمر :

علم الرسول ﷺ والمسلمون بذلك المكان الذي نزل فيه المشركون ، فجمع أصحابه واستشارهم ، وقد أسفرت الشورى عن رأيين :

أولاً : رأي الكبار : وكان رسول الله ﷺ يؤيد هذا الرأي ويعطينا خلاصته قول أحدهم :

تقيم بالمدينة يا رسول الله وتتركهم . فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا[1] وكان رأي عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأى رسول الله ﷺ في ألا يخرج إليهم . ولعل ذلك كان جبناً منه أو خوفاً من أن ينكشف نفاقه .

ثانياً : رأي الشباب : وخصوصا من لم يشهد بدراً من المسلمين ، لم يرضوا بهذا الرأي وقالوا : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا حتى لا يروا أنا جبنا عنهم وضعفنا ، وكان مع هؤلاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حيث قال : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة[2] . وما زال هؤلاء برسول الله ﷺ حتى اتبع رأيهم ، لأنهم الأكثرون عدداً . وهذا يلفت نظرنا إلى احترام النبي ﷺ لمبدأ الشورى والأخذ برأي الأغلبية ، وإن خالف رأيه ، طالما لم يكن في الأمر وحي وتشريع إلهي ، فصلى رسول الله ﷺ الجمعة في اليوم العاشر من شوال ، وحثهم في خطبتها على الثبات والصبر ، وقال : «لكم النصر ما صبرتم» . وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .
(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٩٨) .

ففرح الناس بذلك ، ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا ؛ ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وصفّ الناس ينتظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهم : استكرهتم رسول الله على الخروج فردوا الأمر إليه – أي فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأياً فأطيعوه – فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته وظاهر بين درعين أي لبس درعاً فوق درع ، وتقلّد السيف فقالوا له : ما كان لنا أن نخالفك . ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت . فقال : قد دعوتكم إلى القعود فأبيتم وما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه[1] .

بداية التنظيمات القتالية والحراسة الليلية :

استعمل النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ثم عقد الألوية ، فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء الأوس لأسيد بن الحضير رضي الله عنهم . ثم سار الجيش ، وكان عدده يقرب من الألف رجل في بادئ الأمر .

وقبل الوصول إلى أُحد عرض النبي ﷺ أفراد الجيش عليه ، وانطلاقاً من حرص النبي ﷺ على الغلمان صغار السن ، فقد رد بعض الغلمان من أبناء الصحابة رضي الله عنهم ، لم يرهم بلغوا أربع عشرة سنة وكان منهم : عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم ، حتى لا يعرّضهم لقتال لا يتحملونه .

ولما فرغ من العرض ، وغربت الشمس ، أذّن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثم أذّن بالعشاء فصلى بهم ، وانطلاقاً من الأخذ بمبدأ الحذر ، فقد قام المسلمون بتنظيم حراسة ليلية ، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر[2] .

أحداث في الطريق إلى أُحد :

سار النبي ﷺ ومعه الصحابة للقاء العدو حتى إذا بلغوا الشوط – وهو بستان بين جبل أُحدٍ

---

(١) ينظر : السيرة الحلبية (٢/ ٢٩٩) .

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٣٣٢ .

والمدينة – رجع عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلاثمئة رجل أي : ثلث الجيش . وهو يقول : عصاني وأطاع الولدان ، ومن لا رأي له ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ؟ ارجعوا أيها الناس ، فرجعوا[١] .

وبقي مع الرسول ﷺ ما يقرب من السبعمئة من المؤمنين المخلصين ، فمضوا في طريقهم حتى وصلوا إلى الشعب من جبل أُحد على مقربة من المشركين ، ثم جعلوا ظهورهم للجبل ووجوههم للمدينة[٢] .

سار النبي ﷺ ومن بقي معه من الصحابة وعددهم سبعمئة مقاتل بعد رجوع ابن سلول بمن معه حتى إذا وصل رأس الثنية ، وجد كتيبة كبيرة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أُبيّ بن سلول من يهود ، فقال : أسلموا ؟ فقيل لا ، فقال : إنا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك . ورفض خروجهم معه .

النبي ﷺ يضع الخطة وينظم الصفوف :

كان جيش المشركين يبلغ ثلاثة آلاف – كما ذكرنا من قبل – وكان جيش المسلمين لا يزيد على سبعمئة ، وقد رتّب رسول الله ﷺ الجيش ونظّمه تنظيماً دقيقاً ، ووضع خمسين رجلاً من الرماة على شعب في الجبل وراء جيش المسلمين ، وقال لهم : لله احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن يجيئنا من ورائنا ، والزموا مكانكم ولا تبرحوه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقبل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل[٣] .

كما اتخذ المسلمون شعاراً وهو : أمت ، أمت[٤] . كي يعرف به المسلم أخاه فلا يؤذيه في وقت شدة القتال .

و خطب رسول الله ﷺ المسلمين قبل القتال وكان من أقواله في خطبته تلك : يا أيها الناس :

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .
(٢) القول المبين في سيرة المرسلين ، ص ٢٤٣ .
(٣) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤٤ .
(٤) الشعار (هنا) : علامة ينادون بها في الحرب ، ليعرف بعضهم بعضاً ، ينظر : سيرة ابن هشام (٢/ ٦٨) .

أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه . . كما قال لهم : إن الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف مما لايحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر[1] .

المشركون ينظمون صفوفهم :

سار المشركون حتى اقتربوا من المدينة وعند «أُحد» نظّموا جيشهم للقتال فاصطفوا صفاً واحداً ، وأمنوا الميمنة والميسرة ، فجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وحمل اللواء طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، وولوا قيادة الخيل لـ«صفوان بن أمية»وجعلوا قيادة الرماة لـ«عبد الله بن أبي ربيعة» ، وتولى القيادة العامة أبو سفيان بن حرب[2] .

عامل التحريض والتعبئة النفسية :

أخذ أبو سفيان يحرّض حملة لواء المشركين من بني عبد الدار على الثبات قائلاً : فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ،

(١) إمتاع الأسماع المقريزي (١/ ١٣٨) ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٣٢٨ .

ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وهذا ما أراده أبو سفيان من إثارتهم وتحميسهم على القتال[١] .

ولا يكتفي بذلك بل يريد أن يحدث خلافاً وفرقة في صفوف المسلمين فيرسل إلى الأنصار قائلاً لهم : خلوا بيننا وبين ابن عمنا – يقصد رسول الله ﷺ – فننصرف عنكم ، فلا حاجة لنا إلى قتالكم ، ولكن أين هذه المحاولة أمام إيمان الأنصار الراسخ ، ولذا رد عليه الأنصار رداً عنيفاً ، وأسمعوه ما يكره[٢] .

دور النساء في تحريض المشركين على القتال :

لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

ويها[٣] بني عبد الدار . . . ويها حماة الأدبار . . . ضرباً بكل بتار[٤]

وتقول أيضاً : إن تقبلوا نعانق . . . ونفرش النمارق[٥]

أو تدبروا نفارق . . . فراق غير وامق[٦] .

فيشتد حماس الرجال إذا سمعوا نشيد النساء . ويتذكرون إخوانهم الذين قتلوا في يوم بدر ، فتزداد حميتهم وإقبالهم على القتال ، وكان ﷺ كلما سمع نشيد النساء يقول : «اللهم بك أجول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل» .

ولم يكن المسلمون بحاجة إلى من ينشد لهم الأشعار ليدفعهم إلى القتال ، وإنما كانوا يندفعون بإيمانهم العميق ، ويقبلون على الموت في سبيل الله ، لأن الله وعدهم إحدى الحسنيين : إما النصر ، وإما الشهادة[٧] .

بدء القتال بالمبارزة :

وابتدأ القتال بالمبارزة ، فقد دعا طلحة بن أبي طلحة العبدري أحد حملة لواء المشركين يومئذ إلى المبارزة ، فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ، فوثب حتى صار معه على

(١) الروض الأنف (٥/ ٤٢٨) .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني أحمد أحمد غلوش ، ص ٣٢٧ .
(٣) ويها : كلمة معناها الإغراء ، حماة الأدبار ، أي الذين يحمون أعقاب الناس .
(٤) البتار : السيف القاطع .
(٥) النمارق : جمع نمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة .
(٦) الوامق : المحب وهذا الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية قالته في حرب الفرس لإياد وتمثلت به هند بنت عتبة .
(٧) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٤٥ .

جمله ، ثم ألقاه على الأرض وذبحه بسيفه ، ثم اندلعت نيران المعركة ، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان ، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين . فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة ، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة ، وتقدم للقتال وهو يقول :

إن على أهل اللواء حقاً . . . أن تخضب الصعدة[1] أو تندقا .

فحمل عليه حمزة رضي الله عنه ، فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه ، حتى وصلت إلى سرته فبانت رئته[2] .

التحام الجيشين :

ثم التحم الجيشان ، وحمي الوطيس ، وتعانقت السيوف ، وحملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فينضحهم الرماة بالنبال فيرجعون على أعقابهم ، وأبلى كثير من المسلمين في هذا اليوم بلاء حسناً ، وأظهروا من البطولات ما أعجز المشركين[3] .

من صور البطولة والإيمان :

هناك أمثلة كثيرة من صور البطولة والإيمان في هذه الغزوة ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ - بطولة أبي دجانة رضي الله عنه :

قال رسول الله ﷺ قبل بداية القتال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه[4] .

فلما أخذ السيف أبو دجانة لبس عصابته الحمراء - وكان يسميها عصابة الموت ويمشي بين

---

(١) الصعدة : القناة (الحربة) .
(٢) ينظر : الرحيق المختوم مع زيادات ، ص١٩٢ .
(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ١٩٣) .
(٤) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٠) .

صفوف المجاهدين مشية الخيلاء ، ويراه الرسول فيقول : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن . ونزل إلى الميدان ، وأخذ ينشد :

أنا الذي عاهدني خليلي . . . ونحن بالسفح لدى النخيل .

ألا أقوم الدهر في الكيول[1] . . . أضرب بسيف الله والرسول .

وقد أعمل سيفه في المشركين فألقى في قلوبهم الرعب[2] .

٢- بطولة أبي خيثمة رضي الله عنه :

وهذا أبو خيثمة ، قُتِل ابنه في معركة بدر فجاء إلى رسول الله ﷺ يقول : لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصاً ، حتى ساهمت ابني في الخروج في القرعة فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول لي : ألحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، ثم قال : وقد أصبحت يا رسول الله ﷺ مشتاقاً إلى مرافقته ، وقد كبرت سني ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة ابني في الجنة . فدعا له رسول الله ﷺ ، فنال نعمة الاستشهاد في هذه المعركة[3] .

وقد تعددت مواقف البطولة والإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأظهروا مدى حرصهم على التضحية والشهادة نصرةً للدين ، منهم حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة الذي ترك زوجته في ليلة عرسه وخرج ملبياً نداء الجهاد فلما استشهد أخبر النبي ﷺ بأن الملائكة غسلته[4] .

٣- بطولة عمرو بن الجموح رضي الله عنه :

وهذا أيضاً عمرو بن الجموح وكان رجلاً شديد العرج ، وقد أراد أبناؤه أن يمنعوه لعرجه فشكا لرسول الله ﷺ قائلاً : إن بني هؤلاء يمنعوني أن أجاهد معك ، ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ

(١) يقصد بالكيول مؤخرة الصفوف ، فكأنه يقول : لن أكون أبداً إلا في المقدمة ما دمت أضرب بسيف الله والرسول .
(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص٢٤٦ .
(٣) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص٢٤٦ .
(٤) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص١٩٧ ، وينظر : السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٤١) .

بعرجتي هذه في الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» . وقال لبنيه : «وما عليكم أن تدعوه لعل الله عزوجل أن يرزقه الشهادة» . فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أُحد شهيداً ، وحقق الله له ما طلبه وتمناه[1] .

استشهاد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

يقص وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه قصة قتله لحمزة رضي الله عنه ، فيقول : لما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهذ الناس بسيفه هذاً ، ما يقوم له شيء ، وهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوي ، فَغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق . فلما قدمت مكة أعتقت[2] .

نصيب فصيلة الرماة في المعركة :

كان للفصيلة التي عيّنها الرسول ﷺ على جبل الرماة يد بيضاء في إدارة دفة القتال لصالح الجيش الإسلامي ، فقد هجم فرسان مكة بقيادة خالد بن الوليد يسانده أبو عامر الفاسق – والد حنظلة بن عامر رضي الله عنه الذي غسلته الملائكة – ، ثلاث مرات ليحطموا جناح الجيش الإسلامي الأيسر ، حتى يتسربوا إلى ظهور المسلمين ، فيحدثوا البلبلة والارتباك في صفوفهم ، وينزلوا عليهم هزيمة ساحقة ، ولكن هؤلاء الرماة رشقوهم بالنبل حتى فشلت هجماتهم الثلاث[3] .

الهزيمة تنزل بالمشركين :

هكذا دارت رحى الحرب الطاحنة ، وظل الجيش الإسلامي مسيطراً على الموقف كله ، بالرغم من قلة عدده وعتاده ، حتى خارت عزائم أبطال المشركين ، وأخذت صفوفهم تتبدد عن

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص٢٤٧ .
(٢) الروض الأنف (٥/ ٤٣٣) .
(٣) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص١٩٧ .

اليمين والشمال والأمام والخلف ، وأحست قريش بالعجز والخور ، وانكسرت همتها - حتى لم يجترىء أحد منها أن يدنو من لوائها ، فأخذت في الانسحاب ، ولجأت إلى الفرار ، وتبع المسلمون المشركين ، يضعون فيهم السلاح ، ويجمعون الغنائم[1] .

ما يستفاد من الدرس

١- تعدد أسباب خروج قريش لقتال المسلمين في أُحد ومن أبرزها : الثأر لقتلاها في بدر .

٢ - وصول أخبار خروج قريش لقتال النبي ﷺ عن طريق عمه العباس وعمرو بن سالم .

٣ - استشارة النبي ﷺ للصحابة ونزوله على رأي الأغلبية احتراماً لمبدأ الشورى .

٤ - استعداد قريش للحرب بالمال والسلاح والشعراء وأصحاب المهارات الحربية .

٥ - ضرورة الحذر من أهل النفاق وغدرهم في وقت الأزمات .

٦ - وجوب الأخذ بأسباب النصر ومن أهمها : طاعة القيادة ، التخطيط الجيد .

٧- تعدد صور البطولة والتضحية من الصحابة في غزوة أُحد .

٨- انتهاء الجولة الأولى من المعركة بالنصر لصالح المسلمين .

(١) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص١٩٨ .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – الذي قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة أحد :

(وحشي – ابن قمئة – أبي بن خلف)

٢ – وقعت غزوة أُحد في السنة :

(الثانية للهجرة – الثالثة للهجرة – الرابعة للهجرة) .

٣ – من الشعراء الذين حرضوا على قتال المسلمين في غزوة أُحد :

(عنترة – الأعشى – أبوعزة)

٤ – كان عدد جيش قريش وحلفائها في غزوة أحد :

(٣٠٠٠ رجلاً – ٤٠٠٠ رجلاً – ٥٠٠٠ رجلاً) .

السؤال الثاني : علل ما يأتي :

١ – رد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة أُحد بعض الغلمان :

.....

٢ – خروج النساء مع المشركين في غزوة أُحد :

.....

٣– استجابة وحشي لطلب المشركين منه قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

.....

السؤال الثالث : صوّب ما تحته خط فيما يأتي :

١- استعمل النبي ﷺ على المدينة في غزوة أُحد **عبدالله بن عباس** . (.....)

٢ - رجع عبدالله بن أُبيّ بن سلول في غزوة أُحد وكان معه **نصف** الجيش .

(.....)

٣ - اتخذ المسلمون في غزوة أُحد شعاراً وهو : «**أقبل أقبل**» . (.....)

٤ - وصول أخبار خروج قريش لقتال النبي ﷺ عن طريق عمه **أبي لهب** .

(.....)

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «اللهم بك أجول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل»

القائل : (.....)

٢- «إن تقبلوا نعانق . . . ونفرش النمارق»

القائل : (.....)

٣- «أنا الذي عاهدني خليلي . . . . . ونحن بالسفح لدى النخيل»

القائل : (.....)

السؤال الخامس : اكتب سببين لغزوة أُحد :

.....

.....

السؤال السادس : ما الدرس المستفاد من قيام الصحابة بعمل حراسة ليلية ؟

.....

.....

غزوة أُحد (الجولة الثانية)

تمهيد :

انتهت الجولة الأولى من المعركة بهذا النصر الحاسم للمسلمين ، على مشركي مكة ومن جاء معهم من حلفائهم ، ولم يكن هذا النصر أقل روعة وعظمة من انتصار بدر ، وهذا يوضح لنا أهمية طاعة النبي ﷺ والتزام أوامره وتعليماته ، وقد ظل الأمر على ذلك حتى وقعت المخالفة الكبيرة التي حدثت من فريق الرماة .

مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ وأثر ذلك على تغير أحداث المعركة :

وقعت أغلبية فصيلة الرماة في مخالفة واضحة لأوامر النبي ﷺ قلبت الوضع تماماً ، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين ، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ .

لقد رأينا الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول إلى هؤلاء الرماة ، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة ، ولكن على الرغم من هذه الأوامر ، إلا أنهم لما رأوا المسلمين يجمعون غنائم العدو ، ظنوا انتهاء المعركة فقال بعضهم لبعض : الغنيمة ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون[1] ؟ .

أما قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، فقد ذكّرهم أوامر الرسول ﷺ وقال : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ ولكن الأغلبية الساحقة لم تلق لهذا التذكير بالاً ، وقالت : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة[2] .

ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل ، والتحقوا بسواد الجيش ، ليشاركوه في جمع الغنائم ، وهكذا خلت ظهور المسلمين من الحماية ، ولم يبق على الجبل إلا ابن جبير ﷺ وتسعة من أصحابه ، التزموا مواقفهم ، مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا .

---

(١) سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام صالح بن طه عبدالواحد (١/ ٣٥٧) ، ط ٢ ، مكتبة الغرباء ، ١٤٢٨هـ .

(٢) ينظر : دلائل النبوة للبيهقي (٣ / ٢٢٩) .

خالد بن الوليد يقوم بخطة تطويق الجيش الإسلامي :

انتهز خالد بن الوليد – وكان لا يزال مشركاً – هذه الفرصة الذهبية ، فاستدار بسرعة خاطفة ، حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي ، فلم يلبث أن قتل عبد الله بن جبير وأصحابه رضي الله عنهم ، ثم انقض على المسلمين من خلفهم ، وصاح فرسانه صيحة فعرف المشركون المنهزمون بالتطور الجديد ، فانقلبوا على المسلمين ، وأسرعت امرأة منهم – وهي عمرة بنت علقمة الحارثية – فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب ، فالتف حوله المشركون وتنادى بعضهم بعضاً ، حتى اجتمعوا على المسلمين ، وثبتوا للقتال ، وأحيط بالمسلمين من الأمام والخلف[1] . وبذلك تبدلت الأوضاع من نصر في الجولة الأولى بسبب طاعة أوامر النبي ﷺ والتنفيذ المحكم للخطة ، إلى هزيمة في الجولة الثانية بسبب مخالفة أوامر النبي ﷺ والإقبال على الدنيا والغنائم .

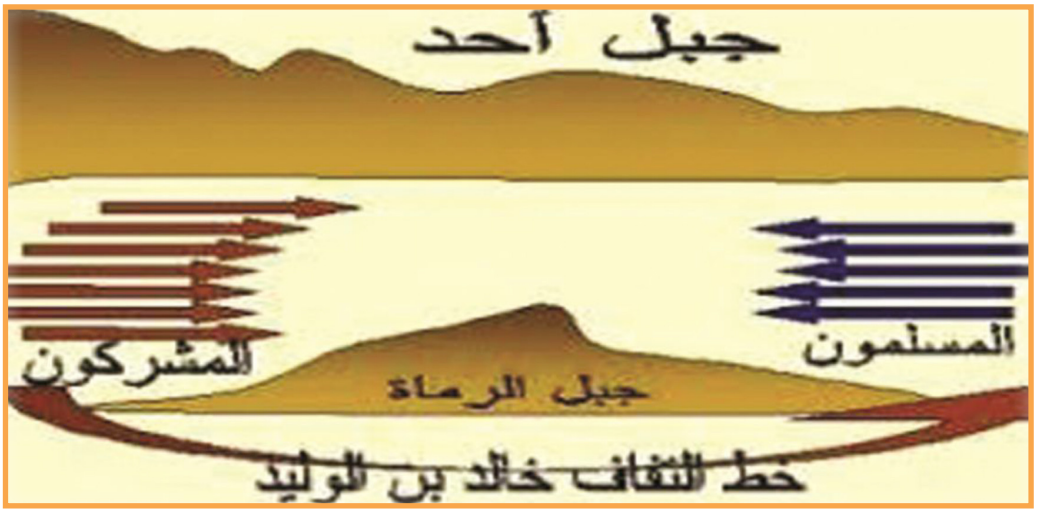

اضطراب في صفوف المسلمين وثبات قلة منهم حول رسول الله ﷺ :

تداخلت صفوف المسلمين حتى صاروا يقتتلون فيما بينهم ، ويضرب بعضهم بعضاً ولا يشعرون ، بسبب ما هم فيه من العجلة ، والدهشة ، والمفاجأة[2] . ولقد ركّز المشركون هدفهم لقتل النبي ﷺ لولا حفظ الله تعالى له ، ثم ثبات مجموعة من الصحابة حوله ، فعن عائشة

(١) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص١٩٩ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٣٤٣ .

قالت : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما كان يوم أُحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ ، فرأيت بين يديه رجلاً يقاتل عنه ويحميه ، قلت : كن طلحة ، فداك أبي وأمي ، كن طلحة ، فداك أبي وأمي ، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كأنه طير ، حتى لحقني[1] .

ولقد أدرك المشركون رسول الله ﷺ فقال ﷺ : «من للقوم»؟ . فقال طلحة : أنا . ووقف طلحة يدافع عن رسول الله ﷺ ويحميه بنفسه حتى جرح طلحة رضي الله عنه تسعاً وثلاثين جرحاً ، أو خمساً وثلاثين ، ومن ثم كان جديراً بأن يقول النبي ﷺ في حقه : «من نظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» ، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم «أُحد» قال : هذا يوم طلحة .

وقاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه بضراوة بالغة ، وظل يدفع عن النبي ﷺ هجوم ابن قمئة المشرك وأصحابه ، وكان اللواء بيد مصعب رضي الله عنه ، فضربوه على يده اليمنى حتى قطعت ، فأخذ اللواء بيده اليسرى ، وصمد في وجوه الكفار حتى قطعت يده اليسرى ، فجثا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وظل حافظاً للواء حتى قتل ، وكان الذي قتله هو ابن قمئة ، وهو يظنه رسول الله ﷺ – لشبهه به – فانصرف ابن قمئة إلى المشركين ، فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أعطى رسول الله ﷺ اللواء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] .

إشاعة مقتل النبي ﷺ وأثره على المعركة :

لم يمض على صيحة ابن قمئة وقت طويل ، حتى شاع خبر مقتل النبي ﷺ بين المشركين والمسلمين ، وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة رضي الله عنهم ، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ وانهارت معنوياتهم ، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد ، وعمتها الفوضى والاضطراب ، فتوقف من توقف منهم عن القتال ، وألقى بأسلحته[3] .

(١) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص ٢٠٧ .
(٢) الروض الأنف (٥/ ٤٣٥) .
(٣) الرحيق المختوم من زيادات ، ص ٢٠٠ .

ومر بهؤلاء أنس بن النضر ، وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما تنتظرون ؟ فقالوا : قُتِل رسول الله ﷺ ، قال : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ، ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني (المسلمين) ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني (المشركين) ، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال : أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس : واهاً لريح الجنة يا سعد ، إني أجده دون أُحد ، ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتِل ، فما عُرِف حتى عرفته أخته ببنانه – بعد نهاية المعركة – ، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم[1] .

ولكن مما لا شك فيه أن إشاعة مقتل النبي ﷺ قد خففت من هجمات المشركين ؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرادهم – قتل النبي ﷺ – فاشتغل الكثير منهم بتشويه قتلى المسلمين[2] .

الرسول ﷺ يواصل المعركة وينقذ الموقف :

لما حمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قاتل قتالاً شديداً ، وقام الصحابة الموجودون هناك ببطولاتهم النادرة يقاتلون ويدافعون ، واستطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق ، فأقبل إليهم ، فعرفه كعب بن مالك رضي الله عنه – وكان أول من عرفه – فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليه : أن اصمت . وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون ، إلا أن هذا الصوت بلغ إلى آذان المسلمين ، فلاذ إليه المسلمون حتى تجمع حوله حوالي ثلاثين رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم .

ثبت رسول الله ﷺ مكانه ، وظل واقفاً في وجه العدو ، يرمي بالقوس تارة ، ويرمي بالحجارة تارة أخرى وكان أقرب الناس إلى العدو .

وثبت معه ﷺ فريق من الصحابة رضي الله عنهم وكان كل واحد منهم يفدي رسول الله ﷺ بنفسه ويقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك[3] ، وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل ، وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجمين ، واشتد المشركون

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٤٩ .
(٢) الرحيق المختوم ، ص٢٤٩ .
(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٤٦ .

في هجومهم ، لعرقلة الانسحاب ، إلا أنهم فشلوا أمام بسالة وثبات الصحابة وفدائهم لرسول الله ﷺ [١] . وفي أثناء انسحاب رسول الله ﷺ إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل ، فنهض إليها ليعلوها ، فلم يستطع ، لما أصابه من جراح ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ : أوجب طلحة - أي وجبت له الجنة - .

دور المرأة المسلمة في غزوة أُحد :

كان للمرأة المسلمة دور بارز في هذه المعركة ، حتى لقد شارك بعضهن في القتال ، مثل أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها . فقد شهدت غزوة أُحد هي وزوجها وابناها رضي الله عنهم ، ومعها شن تسقي به الجرحى ، فقاتلت وأبلت بلاء حسناً يومئذ ، وهي حاجزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت اثني عشر جرحاً ، بين طعنة برمح ، أو ضربة بسيف ، وهي تدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وترمى بالقوس ، ولما أقبل ابن قمئة - لعنه الله - يريد النبي ﷺ كانت فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف ، وضربته هي ضربات فقال رسول الله ﷺ : «لمقام نسيبه بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان» . وقال ﷺ «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني» . وقال ﷺ لابنها عبد الله بن زيد : «بارك الله عليكم من أهل بيت» ، قالت أم عمارة : «ادع الله أن نرافقك في الجنة» . قال ﷺ : «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» . قالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من النساء من شاركن بسقي الماء ومعالجة الجرحى [٣] ، والتحريض على القتال ، وكان من بينهن السيدة عائشة بنت أبي بكر وأم سليم رضي الله عنهما ، فقد كن يحملن قرب الماء يسقين بها المقاتلين ، ثم ترجعان فتملآنها [٤] .

---

(١) الرحيق المختوم ، ص٢٤٩ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٥٢ .
(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٥٣ .
(٤) ينظر : الرحيق المختوم ، ص٢٥٢ .

النبي ﷺ يقتل أُبيّ بن خلف :

أعطى الله تعالى رسوله ﷺ قدرة عظيمة على التحمل والصبر ، فبالرغم مما أصابه إلا أنه ظل قوياً واثقاً من نصر الله تعالى ، قادراً على مواجهة الأعداء ، حتى إنه لما وصل إلى شعب الجبل ، أدركه أُبيّ بن خلفٍ وهو يقول : أين محمد ، لا نجوتُ إن نجا ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ . فقال : دعوه ؛ فلما دنا ، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة ، تطايرنا عنه ، تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها [١] ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ[٢] منها عن فرسه مراراً .

ومن عجيب ما يروى أن أُبيّ بن خلف كان يقول للنبي ﷺ وهو في مكة : يا محمد إن عندي العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرةٍ ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسول ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريشٍ وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله ما بك من بأسٍ ؛ قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات في طريق عودته إلى مكة[٣] . فانظر إلى مدى ثقة المشركين في كلمة النبي ﷺ ويقينهم من تحققها .

آخر هجوم قام به المشركون :

ولما تمكّن رسول الله ﷺ من مقر قيادته في الشعب ، قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين . حيث حاولت مجموعة منهم يقودها أبو سفيان وخالد بن الوليد أن يعلوا الجبل كي يتمكنوا من النبي ﷺ والمسلمين فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من على الجبل[٤] .

---

(١) قال ابن هشام : الشعراء : دباب له لدع .

(٢) قال ابن هشام : تدأدأ ، تقلب عن فرسه ، فجعل يتدحرج .

(٣) الروض الأنف (٦/ ٧) بتصرف وينظر : رحمة للعالمين – د .سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ص٢٤٦ ، وينظر : الرحيق المختوم ، ص٢٥٠ .

(٤) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص٢١٣ .

تشويه المشركين للشهداء والتمثيل بجثثهم :

لم يكن المشركون يعرفون عن مصير النبي ﷺ شيئاً ، بل كانوا على شبه اليقين من قتله ، ومن ثم أخذوا يتهيأون للرجوع إلى مكة ، واشتغل من اشتغل منهم - رجالاً ونساء - ، بقتلى المسلمين ، يمثلون بهم ، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ، ويبقرون البطون[١] .

وأخذ أبو سفيان في البحث عن حقيقة خبر مقتل رسول الله ﷺ لتهدأ نفسه ، فأخذ يسأل من يقابله ، ويقول : يا معشر قريش أيكم قتل محمداً ؟ فقال ابن قمئة : أنا قتلته . فقال أبو سفيان : نسورُك كما تفعل الأعاجم بأبطالها .

ولما تصفح أبو سفيان القتلى قال : ما نرى مصرع محمد ؟ كذب ابن قمئة . ولقي أبو سفيان خالد بن الوليد فقال : هل تبين عندك قتل محمد ؟ قال خالد : رأيته قبل قليل في نفر من أصحابه ، مصعدين في الجبل . قال أبو سفيان : هذا حق ، كذب ابن قمئة[٢] .

لقد انتهت الجولة الثانية بعدما تعب الفريقان ، فلقد عاشوا اليوم كله بين الكر والفر ، وكثرت الجراحات ، وتكسرت الرماح ، وقل النبل ، وعقرت الخيل ، ورأت قريش ضرورة الانسحاب والرجوع إلى مكة قبل أن يتغير الأمر . حيث قالوا : لنا الغلبة ، فلو انصرفنا فإنه بلغنا أن ابن أُبيّ انصرف بثلث الناس ، وقد تخلف ناس من الأوس والخزرج ، ولا نأمن أن يكروا علينا ، وفينا جراح ، وخيلنا عامتها قد عقرت .

وبدأ مشركو قريش في الانسحاب والرجوع إلى مكة ، وأقبل أبو سفيان يفاخر بانتصار المشركين ، وسار حتى أشرف على المسلمين ، وهم في عرض الجبل ، فأخذ يصيح بأعلى صوته : اعل هبل ، أين ابن أبي كبشة ؟[٣] - يقصد رسول الله ﷺ - أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب؟ يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول ، وإن الحرب سجال . فقال عمر رضي الله عنه : ألا أجيبه يا رسول الله؟ . فقال ﷺ : «بلى فأجبه» . فقال أبو سفيان : اعل هبل ! فقال عمر رضي الله عنه : الله

(١) الرحيق المختوم ، ص ٢٥١ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٣٤٥ .
(٣) قيل : هو كنية أبيه من الرضاعة ، واسمه الحارث بن عبدالعزيز ، كانوا ينسبونه إليه استهزاءً ، وقيل : أبو كبشة رجل فارق دين الجاهلية قديماً وعبدنجم الشعري . فشبهوا الرسول ﷺ به لمخالفته دين قومه .

أعلى وأجل ! قال أبو سفيان : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول اللهﷺ ، وهذا أبو بكر ، وهذا عمر . فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول ، وإن الحرب سجال . فقال عمررضي الله عنه : لا سواء ! قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار . وانصرف أبو سفيان إلى أصحابه ، وأخذوا في الرحيل[1]

المسلمون يتفقدون شهداءهم :

وبعد انتهاء القتال أخذ المسلمون يتفقدون شهداءهم ، ليقفوا على مدى مصابهم . يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه ، فقال لي : «إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ : كيف تجدك» ؟ .

فجعلت أطوف بين القتلى ، فأتيته ، وهو بآخر رمق ، وفيه سبعون ضربة ، ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت : يا سعد ، إن رسول الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : «أخبرني كيف تجدك» ؟ فقال سعد : وعلى رسول الله السلام ، قل له : يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خلص عدوكم إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف ، وفاضت نفسه من وقته ، فجاء زيد إلى رسول الله وأخبره خبره .

ولما رأى رسول الله ﷺ ما فعله المشركون بعمه حمزة قال : «لئن ظفرني الله تعالى على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم مكانك»[2] فأنزل الله تعالى عليه

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[3]

ثم قام النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بدفن الشهداء بملابسهم التي كانوا يلبسونها بلا غسل ، إلا حمزة وحنظلة فقد غسلتهما الملائكة ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٥٦ .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٢٣) .
(٣) سورة النحل : ١٢٦ .

كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد ، ثم يقول : « أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم[1] ، ولم يصل عليهم ، ولم يغسّلوا» ، وهذا يلفت نظرنا إلى تقدير النبي ﷺ لأهل القرآن على غيرهم .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء جمع أصحابه ، وقال لهم : «تعالوا نثني على الله» . وصفهم صفين ، وجعل النساء خلفهم ، ثم دعا فقال : «اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت . . . - ثم قال - اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ! اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ! اللهم عذّب الكفرة الذين يكذبون رسولك ، ويصدون عن سبيلك ! وبعدها أخذ رسول الله ﷺ سيره إلى المدينة في جو من الألم والحزن[2]

ما يستفاد من الدرس :

١ - إصابة الصحابة في غزوة أُحد في الجولة الثانية بسبب مخالفة أوامر الرسول ﷺ .

٢ - إشاعة مقتل النبي ﷺ أحدثت اضطراباً في صفوف الصحابة .

٣ - ثبات النبي ﷺ ومجموعة من الصحابة كان سبباً في إنقاذ الموقف وتقليل الخسائر .

٤ - فداء الصحابة رجالاً ونساءً لرسول الله ﷺ بأنفسهم حتى استشهد بعضهم لأجل ذلك .

٥ - استشهادُ سبعين رجلاً من الصحابة وتفنن المشركين في تشويه جثثهم .

٦ - عظمة مقام النبي ﷺ في عبوديته لربه حيث توجه بالثناء على ربه بعد نهاية المعركة .

---

(١) ورد في مسألة صلاة النبي ﷺ على شهداء أُحد آثار متعددة وقد اختلفت أقوال العلماء في المسألة ، وخلاصتها : أن الإمام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والجمهور ذهبوا إلى أنه يُصلى عليهم ، وذهب أبو حنيفة «والكوفيون» إلى الصلاة عليهم كغيرهم .

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٦٤ .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي : -

١ – غادر جميع الرماة من الصحابة ﷺ أماكنهم في غزوة أحد . ( )

٢ – كان النبي ﷺ أشجع الناس وأقربهم إلى العدو . ( )

٣ – أصاب الصحابة ﷺ الاطمئنان بعد إشاعة مقتل النبي ﷺ . ( )

٤ – دعا النبي ﷺ لأم عمارة الأنصارية وأهل بيتها برفقته في الجنة . ( )

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – ما الذي ترتب على مخالفة الرماة أمر النبي ﷺ ونزولهم لأخذ الغنائم في غزوة أُحد ؟

.....

٢ – لماذا خفف المشركون هجماتهم بعد إشاعة مقتل النبي ﷺ في غزوة أُحد ؟

.....

السؤال الثالث : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
	دفن النبي شهداء غزوة أُحد بدون غسل إلا		فبقروا البطون وقطعوا الآذان .
	ضرب أنس بن النضر أروع الأمثلة في		حمزة وحنظلة فقد غسلتهم الملائكة .
	الذي قتل مصعب بن عمير		الشجاعة ومواصلة الجهاد .
	مثّل المشركون بجثث المسلمين		أمية بن خلف .
			ابن قمئة المشرك .

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «واهاً لريح الجنة يا سعد ، إني أجده دون أحد»

القائل : (.....)

٢- «لَمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان»

القائل : (.....)

٣- «يوم بيوم بدر ، ألا إن الأيام دول ، وإن الحرب سجال»

القائل : (.....)

السؤال الخامس : كان للمرأة المسلمة دور بارز في غزوة أُحد . . وضح ذلك بمثال :

- .....
- .....

غزوة حمراء الأسد

تمهيد :

انتهت غزوة أُحد بعدما أصيب فيها المسلمون إصابات فادحة ، بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ . وبالرغم من ذلك إلا أن النبي ﷺ لعظم مقامه في عبوديته لربه تعالى يتوجه إلى ربه بالدعاء والثناء على ما نالهم من الجهد والبلاء ، فقال لأصحابه : «استووا ، حتى أثني على ربي عَزَّوَجَلَّ »[1] .

وبعد أن فرغ من ذلك ركب فرسه ورجع إلى المدينة ، وهذا توجيه عظيم من رسول الله ﷺ يبين فيه للأمة أن الدعاء مطلوب في ساعة النصر وفي ساعة الهزيمة ، وأن اللجوء إلى الله تعالى ، أمر لا ينقطع عنه المسلم في عسر أو يسر[2] .

الأوضاع في المدينة بعد المعركة :

كانت الهزيمة في غزوة أُحد فرصة انتهزها المنافقون واليهود ، وأخذوا يتغامزون على رسول الله ﷺ وعلى دينه وأصحابه ، وكشف عن عداوته منهم من كان يخفيها ، وأخذ الكافرون والمنافقون يثيرون الأكاذيب حول الإسلام ، ويظهرون الشماتة بما حل بالمسلمين ، فرأى رسول الله ﷺ أن يعيد للدولة المسلمة هيبتها وكرامتها ، فقام بتنظيم رجاله على عجل ، وأمر بخروج الصحابة رضي الله عنهم في أعقاب قريش لمطاردتهم وإظهار قوة المسلمين ، فأخذ الصحابة رضي الله عنهم يتحامل بعضهم على بعض : الجريح على السليم ، واستجابوا مسرعين لأمر النبي ﷺ[3] .

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم ٦٩٩) ، ص٢٤٣ ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم -١٥٤٩٢) (٢٤/ ٢٤٧) .
(٢) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٠٣ .
(٣) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٠٤ ، باختصار .

معرفة وجهة العدو :

بعد أن انسحب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرةً ، لمعرفة اتجاه العدو ، فقال له : «اخرج في آثار القوم ، وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم» قال علي : فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة . فرجع علي رضي الله عنه وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[1] .

وهذا يلفت نظرنا إلى يقظة الرسول القائد ﷺ ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو ، وظهور قوته المعنوية العالية ، واستعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة ، ويظهر لنا أيضا مدى ثقة النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعرفته بشجاعته ، لأن جيش المشركين لو أبصر علياً ما تورع عن قتله .

أسباب غزوة حمراء الأسد :

١ – ردع الأعداء الشامتين بالمدينة من أعراب ومنافقين ويهود ، وإشعارهم أن المسلمين لا زالوا على قوتهم ومقدرتهم القتالية ، وأن هزيمة أُحد لم توهنهم عن أهدافهم ، ولن تمنعهم عن تأديب أعدائهم .

٢ – رفع معنويات المسلمين وإزالة الآثار النفسية المؤلمة ، التي خلّفتها معركة أُحد ، والتي كان من الممكن أن تترك آثاراً محزنة لا تمحوها الأيام[2] .

٣ – تخويف مشركي قريش ، إذ أن المشركين حينما يبلغهم أن رسول الله ﷺ خرج في طلبهم ، يتأكدون أن المسلمين مازالوا قوة ، وأن ما أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم فقد روي أن رسول الله ﷺ بلغه أن أبا سفيان وأكثر من معه يريدون أن يرجعوا ليستأصلوا من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما رجع المشركون عن أُحد قالوا : لا محمداً

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص٥٠٤ ، باختصار .
(٢) دراسة في السيرة ، ص١٦٦ .

قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم ، ارجعوا ، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فندب المسلمين للخروج فبادروا بالاستجابة على نحو عجيب بالرغم من الجراح والآلام[١] .

تاريخ غزوة حمراء الأسد :

خرج رسول الله ﷺ في يوم الأحد السادس عشر من شوال ، أي في اليوم التالي لغزوة أُحد ، أمر رسول الله ﷺ أن يتهيأ الناس لطلب العدو وألا يخرج معهم أحد لم يشترك في معركة أُحد[٢] ، وأتى عبد الله بن أُبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أنا راكب معك . فقال : « لا»[٣] .

النبي ﷺ يأذن لجابر بن عبد الله رضي الله عنه بالخروج معه بالرغم من عدم حضوره غزوة أُحد :

جاء جابر بن عبد الله – ابن شهيد أُحد عبد الله بن حرام رضي الله عنهما – فقال يا رسول الله ﷺ : إن أبي كان خلّفني على أخواتٍ لي سبعٍ وقال يا بُني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه ، قال جابر : فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيري[٤] .

وفي هذا تقدير من النبي ﷺ لعذر سيدنا جابر رضي الله عنه في تخلفه عن غزوة أُحد ، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك عليهم . ودعا رسول الله ﷺ بلوائه ، وهو معقود لم يحل من الأمس ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج رسول الله ﷺ ، وفيه آثار مما أصيب به من جراحات في غزوة أُحد[٥] .

سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم رغم الجراح والآلام :

بمجرد أن سمع الصحابة النداء لبوا مسرعين ووثبوا إلى سلاحهم ، وما عرجوا على دواء جراحاتهم .

(١) ينظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٠٨) بتصرف .
(٢) ينظر : دراسة في السيرة – عماد الدين خليل ، ص١٦٦ .
(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٠٩) .
(٤) الروض الأنف (٦/ ٣١) .
(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٠٩) .

فهذا أسيد بن حضير- وبه تسع جراحات وهو يريد أن يداويها لما سمع النداء- قال : سمعاً وطاعةً لله ورسوله ، ولم يعرج على دواء جرحه ، وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً [١] ، بل وصل الأمر ببعض الصحابة أن بعضهم كان يحمل أخاه الجريح ، حرصاً منهم على ألا تفوتهم غزوة مع رسول الله ﷺ .

فما أعظم جيل الصحابة وما أعظم تضحيتهم ، ومن ثم كانوا جديرين بوصف الله لهم في قوله تعالى :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [٢] .

أحداث غزوة حمراء الأسد :

دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فركع فيه ركعتين والناس قد حشدوا ، كما نزل أهل العوالي حيث جاءهم الخبر ، ثم دعا رسول الله ﷺ بفرسه على باب المسجد ، ولم يكن مع الصحابة بحمراء الأسد فرس إلا فرس رسول الله ﷺ ، وتلقاه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد سمع المنادي فخرج ينظر : متى يسير رسول الله ﷺ فإذا رسول الله ﷺ عليه الدرع والمغفر ، وما يرى منه إلا عيناه ، فقال : «يا طلحة ، أين سلاحك ؟» قال : قريب يا رسول الله ﷺ فخرج فأتى بسلاحه ، وإذا به في صدره تسع جراحات ، وقال : ولأنا أهم بجراح رسول الله مني بجراحي ، ثم يقبل رسول الله ﷺ على طلحة موجهاً له هذه العبارة التي يملأها الأمل والثقة في نصر الله قائلاً له : « أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله تعالى مكة علينا » [٣] . وقد تحقق صدق هذه العبارة ، حيث لم تنل قريش من المسلمين بعد ذلك يوماً كيوم أُحد ، وهذا إخبار بأمر غيبي يدل على صدق نبوته ﷺ .

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٠٨) .
(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٠٩)

سار الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ حتى وصلوا حمراء الأسد ، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم في النهار بجمع الحطب فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل ناراً ، فلقد أوقدوا خمسمئة نار ، وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه ، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها ، حتى خُيّل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به وملأ الرعب أفئدتهم . وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الإثنين والثلاثاء والأربعاء[1] .

خبر معبد الخزاعي ودوره في الغزوة :

أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ مسلماً ناصحاً ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك- فأمره رسول الله ﷺ أن يلحق أبا سفيان فيخذله .

وبالفعل ذهب معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى جيش المشركين ، وأخذ يخذلهم ويخوفهم من قوة المسلمين بعدما كان قد أجمع المشركون رأيهم على العودة إلى المدينة للقضاء على المسلمين و قبل أن يتحرك أبو سفيان بجيشه إلى المدينة أقبل عليه معبد بن أبي معبد الخزاعي ، ولم يكن يعرف أبو سفيان بإسلامه ، فقال : ما وراءك يا معبد ؟ فقال معبد - وقد أراد أن يلقي الرعب في قلب أبي سفيان - : محمد ، قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما ضيعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال أبو سفيان : ويحك ، ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل- أو- حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة . فقال أبو سفيان : والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم . قال : فلا تفعل ، فإني ناصح . وحينئذ انهارت عزائم الجيش المكي ، وأخذه الفزع والرعب ، فلم ير العافية إلا في مواصلة الانسحاب والرجوع إلى مكة .

ولكن أبا سفيان أراد أن يقوم بحيلة لعله ينجح في كف الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ عن مواصلة الزحف نحو المشركين[2] .

(١) المرجع السابق (٤/ ٣١٠) .
(٢) الرحيق المختوم مع زيادات ، ص٢٢٣ .

أبو سفيان يشن حرباً نفسية ضد المسلمين يغطي بها خوفه وانسحابه :

حاول أبو سفيان أن يغطي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين ، لعله يرهبهم فأرسل مع ركب عبد القيس -وكانوا يريدون المدينة للميرة - رسالة إلى رسول الله ﷺ مفادها ، أن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير إليه وإلى أصحابه رضي الله عنهم ليستأصلهم من الوجود ، وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم زبيباً عندما يأتوه في سوق عكاظ ، ومر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال هو والمسلمون : حسبنا الله ونعم الوكيل . واستمر المسلمون في معسكرهم ، وآثرت قريش السلامة والرجوع ، فرجعوا إلى مكة ، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوثبة[1] .

وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود في المدينة ، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الغزوة بقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[2] .

النبي يأمر بقتل أبي عزة الشاعر :

وقع في أسر النبي ﷺ قبل رجوعه إلى المدينة أبو عزة الجمحي الشاعر الذي عفا عنه النبي ﷺ في غزوة بدر ، وعاهده على ألا يعين عليه مرة أخرى ، ولكنه خان العهد وخرج مع قريش في غزوة أُحد ، وقد حاول أبو عزة أن يتخلص من القتل ، وقال : يا رسول الله ﷺ أقلني ، فقال رسول

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص٥٠٦ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٢- ١٧٥ .

الله ﷺ : «لا والله ، لا تمسح عارضيك[1] بمكة بعدها ، وتقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير» ، فضرب عنقه ، فقال النبي ﷺ حينئذ : «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين»[2] .

فهذا الشاعر من المفسدين في الأرض ، الداعين إلى الفتنة ، ولأن في المن عليه تمكيناً له من أن يعود محارباً للمسلمين مرة أخرى . ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي .

وبرجوع الصحابة سالمين من حمراء الأسد يكون قد تحقق للنبي ﷺ ما قصده وهو أن يزيل آثار الهزيمة من نفوس الصحابة رضي الله عنهم ، فيشعروا بقوتهم ومقدرتهم على مواجهة الأعداء ، وكذلك يظهر أمام أعين المشركين والمنافقين واليهود مدى قوة الدولة المسلمة وقدرتها على ردع كل من تسول له نفسه أن يتطاول عليها[3] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – إظهار المنافقين واليهود الشماتة بالمسلمين بعد غزوة أُحد .

٢ – خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد إظهاراً لقوة المسلمين ورفعاً لمعنوياتهم .

٣ – سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم في الخروج إلى حمراء الأسد رغم الجراحات الكثيرة .

٤ – ثقة النبي ﷺ في علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسله لمعرفة اتجاه العدو رغم الخطورة .

٥ – أمْر النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم أن يوقدوا ناراً حتى تمتلئ قلوب المشركين بالرعب .

٦ – فشلُ أبي سفيان في إثارة الحرب النفسية ضد المسلمين وإيثاره السلامة بالانسحاب والرجوع .

٧ – أمر النبي ﷺ بقتل أبي عزة الشاعر لتحريضه على القتال ضد المسلمين ونقضه العهد مع النبي ﷺ .

---

(١) عارضيك : هما جانبا الوجه .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ١٢٧٨ ، ص٤٣٥ ، قال الشيخ الألباني : صحيح .

(٣) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٠٧ .

التقويم

السؤال الأول : تمم الفقرة الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي : -

(المدينة – زبيباً – عكاظ – عبد القيس – مكة – الانسحاب – ذي المجنة)

لما قرر أبو سفيان ..... في غزوة حمراء الأسد ، أراد أن يشن حرباً نفسية على المسلمين ليرهبهم ، فأرسل مع ركب ..... رسالة إلى رسول الله ﷺ مفادها :

أن أبا سفيان وجيشه أجمعوا على السير إليه ، وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم .... عندما يأتوه في سوق .

..... ، فلما أخبر الركب رسول الله ﷺ قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، واستمروا في معسكرهم ، ورجعت قريش إلى .....

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – لماذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يوقدوا ناراً في غزوة حمراء الأسد ؟

.....

٢ – صف موقف المنافقين واليهود مما حدث للمسلمين في غزوة أُحد :

.....

٣ – اكتب سببين من أسباب غزوة حمراء الأسد :

- .....
- .....

السؤال الثالث : من الشخصية المقصودة فيما يأتي : -

١ - صحابي أذن له النبي ﷺ بالخروج معه في حمراء الأسد ولم يشهد أُحداً لرعاية أخواته
(.....)

٢- ذهب إلى أبي سفيان وحذّره من قوة المسلمين ونصحه بالرجوع إلى مكة .
(.....)

السؤال الرابع : صوّب ما تحته خط فيما يأتي : -

١- أقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد **أربعة** أيام . (.....)

٢- بعث النبي ﷺ بعد غزوة أحد **عثمان بن عفان** رضي الله عنه لمعرفة اتجاه العدو . (.....)

السؤال الخامس : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» القائل : (.....)

٢- «ولأنا أهم بجراح رسول الله ﷺ مني بجراحي» القائل : (.....)

محاولات المشركين لزعزعة الدولة الإسلامية بعد غزوة أُحد

تمهيد :

استطاع رسول الله ﷺ بفضل الله تعالى ثم بفضل حكمته وحسن تدبيره الحكيم ، أن يخرج بالمسلمين من هزيمتهم النفسية ، وأن يصلح انكسارهم الكبير ، وينتقل بهم ليس فقط من مجرد تضميد الجراح ، بل إلى مرحلة الهجوم من جديد على جيش الكفار ، وإعادة الكرة عليهم ، ورفع الرأس من جديد ، وإعادة الهيبة إلى الدولة الإسلامية الناشئة ، وذلك بخروجه ﷺ في اليوم التالي لغزوة أُحد إلى حمراء الأسد ؛ يطارد المشركين ، ورأينا كيف خاف المشركون ، ولم يقووا على مواجهة المسلمين ، وعلى الرغم من أن غزوة حمراء الأسد أعادت شيئاً من الهيبة إلى الأمة الإسلامية ، إلا أنه لا شك أن موقعة أُحد هزت مكانة المسلمين في المنطقة بكاملها .

فإذا كانت غزوة بدر قد حققت سمعة وسيطرة عسكرية للمسلمين ، حيث خضع الكثير من القبائل العربية على الرغم من شركها ، فعلى النقيض تماماً حيث إن الفترة التي تلت غزوة أُحد كانت من أشد الفترات التي مرت على الدولة الإسلامية الناشئة ؛ أذ بدأت كل القبائل العربية المشركة المحيطة بالمدينة المنورة وغيرها من أعداء الأمة تتربص بالمسلمين ، وتحاول الإغارة عليهم[1] .

ولقد تعددت هذه المحاولات العدائية ، وكان من أهمها :

أولاً : محاولة بني أسد بن خزيمة الهجوم على المدينة ونهب خيراتها :

بعد شهرين من غزوة «أُحد» وصلت إلى رسول الله ﷺ أخبار الاستعدادات التي قام بها بنو أسد بن خزيمة بقيادة طليحة الأسدي ، من أجل غزو المدينة ، طمعاً في خيراتها ، وانتصاراً لشركهم ، ومظاهرةً لقريش في عدوانها على المسلمين ؛ حيث تصوروا أن هزيمة المسلمين في

(١) السيرة النبوية – راغب السرجاني (٢٧/ ٢) .

غزوة أُحد فرصة تساعدهم على ما أرادوه من بغي وعدوان .

بدأ بنو أسد بن خزيمة يستعدون ، ويتشاورون في مهاجمة المسلمين ، ويقول بعضهم لبعض : نسير إلى محمد في عقر داره ، ونصيب من أطراف المسلمين ، فإن لهم سرحاً يرعى جوانب المدينة ، والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش حديثاً [1] ، فسمع نقاش بني أسد بن خزيمة رجل من طيء اسمه الوليد بن زهير بن طريف من بني طيء ، فقدم إلى المدينة وأخبر المسلمين بما عزم عليه بنو أسد بن خزيمة .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي سلمة رضي الله عنه [2] ، وولاه على سرية قوامها مئة وخمسون رجلاً ، وكانت سرية أبي سلمة رضي الله عنه في مستهل شهر المحرم من العام الرابع الهجري .

وأوصى رسول الله ﷺ أبا سلمة رضي الله عنه وجيشه بتقوى الله ، وأمرهم بالإسراع في الخروج ، فخرج أبو سلمة مع السرية ، وكان معهم الرجل الطائي - الذي أخبرهم بهجوم بني أسد - يدلهم على الطريق ، وواصلوا السير ليلاً ونهاراً ، وهذا دليل على سرعة الاستجابة لأمر النبي ﷺ ، وليتفاجأ به العدو فلا يستطيع أن يعد العدة للمواجهة ، كما سار أبو سلمة بجيشه في طريق غير مألوف ، كي لا يعرف الأعداء وجهته .

وصول أبي سلمة رضي الله عنه إلى ديار بني أسد :

سار أبو سلمة رضي الله عنه بجيشه حتى وصل إلى أدنى ماء لبني أسد بن خزيمة ، فوجد عند الماء إبلاً ، وغنماً مع الرعاة ، فاستولوا عليها ، وهرب الرعاة إلا ثلاثة ، وحذروا بني أسد من جمع أبي سلمة ، وكثروهم عندهم ، فتفرقوا في كل وجه هلعاً وخوفاً ، ولما ورد أبو سلمة مكان تجمع القوم لم يجد أحداً فعكسر فيه ، ثم قام بالأعمال التالية :

فرّق أصحابه في طلب النعم والشاه ، فجعل أصحابه ثلاث فرق : فرقة أقامت معه ، وفرقتان أغارتا في ناحيتين مختلفتين .

---

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٩٦ ، وينظر : دلائل النبوة للبيهقي محققاً (٣/ ٣٢١) .

(٢) أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال رضي الله عنه ، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة .

توجيهات أبي سلمة رضي الله عنه لجنوده :

١- جعل لكل فرقة منهم أميراً .

٢ - أوصاهم ألا يبيتوا إلا عنده .

٣ - أوصاهم ألا يفترقوا .

٤ - أوصاهم ألا يمعِنوا في طلب الأعداء - أي لا يبالغوا في مطاردة الأعداء .

قام أفراد الجيش بمهامهم العسكرية على خير وجه ، ورجعوا إليه جميعاً سالمين ، قد أصابوا الكثير من الإبل والنعم ، ولم يلقوا مواجهة من بني أسد ، فرجع أبو سلمة رضي الله عنه بذلك كله إلى المدينة ، ورجع معه الرجل الطائي الذي دلهم على الطريق ، فأعطاه أبو سلمة رضي الله عنه ما رضي به الرجل من المغنم ، وأقبلوا بالنعم والشاة يسوقونها حتى دخلوا المدينة ، وبعد أن رجع أبو سلمة رضي الله عنه من هذه المهمة الحربية ، اشتد عليه جرح كان قد أصيب به في غزوة أُحد ، ثم مات شهيداً بسببه ، بعد عودته مباشرةً ، وهو بذلك يعتبر من شهداء غزوة أُحد[١] .

عوامل نجاح سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد :

١ - الدقة في التخطيط الحربي عند المسلمين .

٢ - الدقة في رصد أخبار الأعداء وتحركاتهم ، واليقظة والانتباه لكل ما يدور حول المدينة .

٣ - اختيار التوقيت المناسب : حيث أسرع المسلمون في مهاجمة العدو قبل أن يهاجمهم .

٤ - اختيار الرجل المناسب الذي يجيد تنفيذ المهمة القتالية .

٥ - اختيار طريق غير مألوف حتى لا ينتبه لهم العدو فيأخذ حذره ، ويعد عدته من سلاح ورجال .

٦ - السرعة في تنفيذ المهمة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم المشقة والمخاطر[٢] .

ثانياً : تجميع خالد بن سفيان الهذلي قبائل هذيل لحرب المسلمين :

في نفس الوقت الذي جاء فيه خبر تجمع بني أسد للهجوم على المدينة المنورة ، تجمعت بعض القبائل

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص٣٩٧ .

(٢) ينظر : المرجع السابق ، ص٥٢٨ .

الأخرى بقيادة رجل اسمه خالد بن سفيان الهذلي ، للهجوم على المدينة . بدأ هذا الرجل يستعد لغزو المدينة ، مساندةً لقريش وتقرباً إليها ، ودفاعاً عن عقائدهم الفاسدة ، وطمعاً في خيرات المدينة .

وكان خالد بن سفيان من أشرس المقاتلين العرب ، وكان رجلاً ضخماً ، وله قدرات قيادية هائلة ، جمع قبائل هذيل كلها ، وهي بطون كثيرة جداً [1] .

وصول الخبر إلى النبي ﷺ :

في الخامس من شهر المحرم من العام الرابع للهجرة ، وصل خبر استعدادات خالد بن سفيان وتجميعه القبائل ضد المسلمين إلى الرسول ﷺ ، فاهتم بالأمر وأرسل إلى عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ، وذكر له قصة خالد بن سفيان الهذلي ، وطلب منه أن يذهب إليه ويقتله ؛ لأنه الرأس المدبر ، ولو قُتِل فإنه من الصعب أن تتجمع هذه القبائل ، وبالتالي يتجنب الرسول ﷺ مأساة كبرى قد تتعرض لها المدينة المنورة .

النبي ﷺ يصف خالد بن سفيان لعبد الله بن أنيس رضي الله عنه :

ظهرت مشكلة أمام عبد الله بن أنيس رضي الله عنه وهي : أنه كان لا يعرف خالد بن سفيان ولم يره من قبل ، فقال : يا رسول الله ! انعته – أي صفه لي – حتى أعرفه ، فأعطاه الرسول ﷺ علامة غريبة ، قال : إذا رأيته وجدت له قشعريرة يعني : حين تراه ستصاب بالرعب ، فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ! ما فرقت من شيء قط أي : ما خفت من شيء أبداً ، فقال له رسول الله ﷺ : «بلى ، آية ما بيني وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته» .

ذهب عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ودخل المنطقة التي فيها قبائل هذيل ، ومن بعيد رأى خالد بن سفيان الهذلي . يقول عبد الله بن أنيس رضي الله عنه : فلما رأيته هبته و فرقت منه ، فقلت : صدق الله ورسوله .

خطة عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لقتل خالد بن سفيان الهذلي :

أخذ عبد الله بن أنيس يفكر كيف يمكن أن يغتال هذا الرجل الضخم ، فقرر أن يذهب إليه

(١) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٢٩ ، وينظر : السيرة النبوية – راغب السرجاني (٢٧/ ٥) .

ليحتال عليه بحيلة ، وكان ذلك بعد وقت دخول صلاة الظهر ، وخشي أن يفوته وقت صلاة الظهر ، ولكنه إذا صلى الظهر قد يراه فيكتشف أمره ؛ لذلك اجتهد عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهاداً غريباً ، وبعد ذلك أقر الشرع هذا الاجتهاد ، وهو أن يصلي وهو يسير إليه ، قال : فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي الركوع والسجود يعني : يشير برأسه للركوع والسجود وهو يمشي ، وقد أقر الشرع هذا الاجتهاد ، وأصبحت هذه الصلاة معروفة في الفقه بصلاة الطالب وصلاة المطلوب ، أي : الذي يطلب رجلاً للقتل ، أو يطلبه رجل للقتل . قال : فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ – أي : سأل خالد بن سفيان عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك الناس لحرب هذا الرجل – يقصد جمعك لحرب النبي ﷺ – فجاءك لهذا – أي جاء ليساعدك على قتاله – ، قال : أجل أنا في ذلك ، قال عبد الله بن أنيس : فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركته وقد وصف عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضربه لخالد بن سفيان بسيفه حتى قتله بأبيات من الشعر قال فيها :

وقلت له خذها بضربة ماجد ... حنيف على دين النبي محمد

وكنت إذا هم النبي بكافر ... سبقت إليه باللسان وباليد

النبي ﷺ يعطي هدية لعبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

رجع عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الرسول ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال قبل أن يتكلم عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أفلح الوجه» قلت : قتلته يا رسول الله ! قال : صدقت ، ثم قام معي ، فدخل بيته فأعطاني عصاه فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس ! قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها ، قالوا : أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ! لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة [1] .

(١) ينظر : الروض الأنف (٧/ ٤٨٠) ، وينظر : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٥٧٣) ، وينظر : سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٩) .

يعني : ستكون هذه العصا حجة له عند رب العالمين سبحانه وتعالى ، وهو أن الرسول ﷺ كافأه يوماً على عمل عظيم قام به لخدمة الإسلام ، وقبل موت عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ، طلب أن تدفن معه هذه العصا ، وبالفعل وضعت معه رضي الله عنه[1] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – يقظة النبي ﷺ والمسلمين لكل ما يدور حولهم وما يدبّره الأعداء لهم .

٢ – حكمة النبي ﷺ في وضع الحلول المناسبة لما تتعرض له الأمة من أزمات .

٣ – فراسة النبي ﷺ وحكمته في اختيار الوقت المناسب ، والرجل المناسب لتنفيذ العمل .

٤ – سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم وتنفيذهم لأوامر النبي ﷺ فور صدورها .

٥ – ربط النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بالجزاء الأخروي من خلال الهدية التي أعطاها لعبد الله بن أنيس .

٦ – جواز اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ حيث اجتهد عبد الله بن أنيس رضي الله عنه في صلاته بالإيماء .

٧– إحساس عبد الله بن أنيس بالقشعريرة عند رؤية خالد بن سفيان دلالة على صدق النبي ﷺ فيما يخبر به .

٨– نجاح المسلمين في هذين العملين العسكريين أعطى درساً لكل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين .

(١) السيرة النبوية – راغب السرجاني (٢٧/ ٥) .

التقويم

السؤال الأول : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي : -

(الأسلوب – خائفين – الإيماء – سالمين – تقوى الله)

١ – عاد أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجيشه إلى المدينة من بني أسد ..... ومعهم الكثير من الغنائم .

٢ – اجتهد عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صلاته بـ ..... ثم أقر الشرع هذا الاجتهاد .

٣ – ظهرت حكمة النبي ﷺ في اختيار ..... المناسب في تأديب المعتدين .

٤ – أوصى رسول الله ﷺ أبا سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجيشه عند التوجه إلى بني أسد بـ .....

السؤال الثاني – ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	مات أبو سلمة شهيداً بسبب :		ألا يفترقوا ولا يمعِنوا في طلب العدو .
٢	من توجيهات أبي سلمة لجيشه :		سبعون رجلاً .
٣	عدد سرية أبي سلمة إلى بني أسد :		جرحٍ أصابه في غزوة أُحد .
٤	أراد خالد بن سفيان مهاجمة المدينة :		مئة وخمسون رجلاً .
			طمعاً في خيراتها وتقرباً لقريش .

السؤال الثالث : علل ما يأتي :

١ – سعي بني أسد بقيادة طليحة الأسدي لمهاجمة المدينة :

.....

٢ – سير أبي سلمة رضي الله عنه بجيشه إلى بني أسد من طريقٍ غير مألوف :

.....

السؤال الرابع : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١– أخبر المسلمين بمؤامرة بني أسد لمهاجمة المدينة (.....)

السؤال الخامس : اكتب ثلاثة من عوامل نجاح سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد :

١ – .....

٢– .....

٣– .....

السؤال السادس : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١– «إذا رأيته وجدت له قشعريرة»

القائل : (.....)

٢–«يا رسول الله ! لم أعطيتني هذه العصا»

القائل : (.....)

الوحدة الثالثة

١ – مصاب المسلمين في أصحاب الرجيع رضي الله عنهم .

٢ – فاجعة بئر معونة .

٣ – غزوة بني النضير .

٤ – غزوة ذات الرقاع .

٥ – غزوة بني المصطلق (المريسيع) .

مصاب المسلمين في أصحاب الرجيع رضي الله عنهم

تمهيد :

رأينا كيف كان الأعداء يسعون لزعزعة استقرار الدولة الإسلامية بعد غزوة أُحد ، وقد تعددت هذه المحاولات ، وبالرغم من ذلك استطاع المسلمون بفضل القيادة الحكيمة للنبي ﷺ أن يحبطوا هذه المحاولات ، ويردعوا أصحابها ، ويلقنوا الأعداء درساً حتى لا يفكروا في مهاجمة المدينة أو تجميع القبائل ضد المسلمين مرةً ثانيةً ، وقد دفعت هذه اليقظة الإسلامية بعض قبائل الأعراب إلى اتخاذ أسلوب آخر كي يتمكنوا من الانتقام من المسلمين ، ألا وهو أسلوب الغدر والخيانة وقد استخدموه مع أصحاب الرجيع رضي الله عنهم .

قبيلة هذيل تسعى للانتقام من المسلمين :

رأينا في الدرس السابق كيف أحبط النبي ﷺ محاولة خالد بن سفيان الهذلي تجميع القبائل لمهاجمة المدينة ، وذلك بإرسال النبي ﷺ عبد الله بن أنيس رضي الله عنه له فقتله ، وأراح المسلمين من شره ، وبالفعل تفرقت هذه القبائل ولم تتجمع لمهاجمة المدينة بعد مقتله ، إلا أن قومه أخذوا يفكرون في طريقة ينتقمون بها من المسلمين بسبب قتل قائدهم خالد بن سفيان الهذلي[1] .

سعت قبيلة هذيل للثأر من المسلمين عن طريق الخديعة والغدر ، وذلك أن بني لحيان وهم حي من هذيل ذهبوا إلى قبيلتي عضل والقارة[2] وجعلوا لهم جُعْلاً – أي عرضوا عليهم قدراً من المال والأنعام – ليخرجوا إلى رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يرسل معهم بعض أصحابه يدعونهم إلى الإسلام ويفقهونهم في الدين ، فإذا أرسل النبي ﷺ مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم اختبأ لهم مجموعات مسلحة من هذيل فيأسرونهم ،

(١) ينظر/ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة : محمد أبو شهبة (٢/ ٢٣٤) .

(٢) عَضَل : بفتح المهملة والمعجمة بطن من بني الهون ابن خزيمة ابن مدركة بن إلياس . والقارة : بالقاف وتخفيف الراء بطن من بني الهون أيضاً .

ويبيعونهم لمشركي قريش ، وهم يدركون مدى حرص قريش على الانتقام من المسلمين .

وبالفعل حضر إلى النبي ﷺ رهط من قبيلتي عضل والقارة ، وقالوا للنبي ﷺ : إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا ويُقرِئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام .

وهكذا بعث الرسول ﷺ هذه السرية التي تتألف من عشرة من الصحابة رضي الله عنهم[1] مع هؤلاء القوم ، استجابةً لطلبهم وقياماً بواجب تبليغ الدعوة ، بالرغم من خطورة المرحلة التي يمر بها الصحابة رضي الله عنهم من حيث تربص الأعداء بهم من كل جانب .

وقد أورد بعض علماء السيرة أن هناك سبباً آخر توافق مع مجيء وفد عضل والقارة ، وهو أن النبي ﷺ أراد أن يبعث هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم عيناً له يأتونه بأخبار قريش وتحركاتها[2] .

وهذا الرأي يلفت نظرنا إلى مدى يقظة القيادة المسلمة ممثلة في شخص النبي ﷺ تجاه قريش .

غدر قبيلتي عضل والقارة :

بعث النبي ﷺ هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ذلك في صَفَر سنة ٤ هـ ، وجعل عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح أميراً[3] . فخرجوا يسيرون الليل ، ويكمنون النهار . حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، بموضع يسمى (ماء الرجيع)[4] غدر بهم أولئك الرهط ، ودلوا عليهم هذيلاً قوم سفيان بن خالد الهذلي ، فنفروا إليهم فيما يقرب من مائتين من الرماة ، واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم ، فلما أحس بهم الصحابة لجؤوا إلى جبل هناك ، فقال لهم الأعداء : انزلوا ، ولكم العهد ألا نقتلكم .

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص٥٣٢ .

(٢) عن عروة : بعثهم عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش ، ويجمع بين المعنيين : بأنه لما أراد بعثهم عيوناً ، وافق مجيء النفر في طلب من يفقههم ، فبعثهم في الأمرين وقد أورد بعض العلماء أسماء سبعة ولم يذكر الثلاثة الباقين ، قال الحافظ : فلعل الثلاثة الآخرين كانوا أتباعاً فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم . ينظر/ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٤٧٧) .

(٣) هناك بعض المصادر في السيرة تقول أن أميرهم كان : مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه .

(٤) والرجيع بفتح الراء المشددة وكسر الجيم اسم ماء لهذيل يقع بين مكة وعسفان بأرض الحجاز ، وهو على ثمانية أميال عن عسفان ، وسمي البعث به لحدوث الواقعة عنده .

تصرف الصحابة رضي الله عنهم تجاه عملية الغدر التي حدثت معهم :

أعلن عاصم بن ثابت رضي الله عنه قائد السرية – ومعه أصحابه رضي الله عنهم – رفضه أن يستجيب لهم ورفض أن ينزل في ذمة كافر ، وقال : إني نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبداً ، فجعل عاصم رضي الله عنه يقاتلهم وهو يقول :

الموت حق والحياة باطل وكل ما حمّ الإله نازل

فرماهم بالنبل حتى فنيت نبله ، ثم طاعنهم بالرمح حتى كسر رمحه ، وبقي السيف فقال : اللهم حميت دينك أول نهاري فاحم لي لحمي آخره ، فكسر غمد سيفه ثم قاتل حتى قُتِل رضي الله عنه .

وكان بمكة امرأة مشركة تسمى : سلافة بنت سعد ، وكان قد قُتِل زوجها وأربعة من أبنائها ، وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد قتل منهم اثنين : فنذرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في قحف[1] رأسه الخمر ، وجعلت لمن جاء برأس عاصم مئة ناقة ، قد علمت بذلك العرب وعلمته بنو لحيان ، فأرادوا أن يقطعوا رأس عاصم ليذهبوا بها إلى سلافة بنت سعد ليأخذوا منها مئة ناقة ، فبعث الله تعالى عليهم الدبر[2] فحمته ، فلم يدن إليه أحد إلا لدغت وجهه ، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به ، فقالوا : دعوه إلى الليل ، فإنه إذا جاء الليل ذهب عنه الدبر ، فلما جاء الليل بعث الله تعالى عليه سيلاً ولم يكن في السماء سحاب ، فاحتمله السيل فذهب به فلم يصلوا إليه . وبذلك استشهد عاصم وفريق من أصحابه رضي الله عنهم .

وما فعلته الدبر مع جثة عاصم رضي الله عنه كان كرامةً من الله تعالى له ، وذلك لأنه كان قد أعطى الله تعالى عهداً ألا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن[3] .

مصير الثلاثة الباقين :

بقي من أصحاب عاصم رضي الله عنه ثلاثة وهم : زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم ، فأعطاهم الأعراب العهد بالأمان ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم

(١) القِحف بكسر القاف : أعلى الدماغ .
(٢) الدبر : الزنابير ، أو ذكور النحل .
(٣) الروض الأنف (٦/ ١٦٥) .

فَأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارقٍ يده من القران ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وقبره بالظهران .

وأما خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقدموا بهما مكة فباعوهما لقريش[١] .

ما حدث مع خبيب بن عدي :

فأما خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد اشتراه بنو الحارث بن عامر ، ليقتلوه بالحارث الذي كان خبيب قد قتله يوم بدر ، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موساً[٢] من إحدى نسائهم ، استحد بها فأعارته ، وغفلت عن صبي لها فجلس على فخذه ، ففزعت المرأة لئلا يقتله انتقاماً منه ، فقال خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أتخشين أن أقتله ؟ ! ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى ، فكانت تقول هذه المرأة : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد ، وما كان إلا رزق رزقه الله ، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا ما بي جزع من الموت لزدت ، فكان هو أول من سن الركعتين عند القتل ، ثم قال : «اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً[٣] ولا تبق منهم أحداً[٤]» ثم قال أبيات من الشعر جاء فيها :

وما بي حذار الموت إني لميت ... وإن إلى ربي إيابي ومرجعي
ولست أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزع[٥]
فلست بمبدٍ للعدو تخشعاً ... ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

فقال له أبو سفيان : أيسرك أن محمداً عندنا يُضرَبُ عنقه وأنك في أهلك ، فقال : لا والله ، ما يسرني أني في أهلي ، وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، ثم قُتل وصلبوه

(١) ينظر/ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : الشيخ محمد الخضري ، ص ١٣١ . وينظر/ الروض الأنف (٦/ ١٦٥) .
(٢) الموس : هو الآلة الحادة المعروفة ، استعارها ليحلق بها شعر عانته .
(٣) بدداً : متفرقين .
(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٢٣٦) .
(٥) الشلو : العضو – ممزع : ممزق .

ووكلوا به من يحرس جثته ، فجاء عمرو بن أمية الضمري ، فاحتمله بجذعه ليلاً ، فذهب به ودفنه [1] .

ما حدث مع زيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وأما زيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] فاشتراه صفوان بن أمية لأنه هو الذي قتل أباه أمية بن خلف الذي قُتل يوم بدر ، وقد سأله أبو سفيان قبل قتله : أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً[3] ، ثم قاموا بقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد صوّر أحد الشعراء هذا الموقف البطولي ، والحب العميق لرسول الله ﷺ من زيد بن الدثنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال :

أَسَرتْ قريش مسلماً في غزوة ... فمضى بلا وجل إلى السّياف
سألوه هل يرضيك أنك سالم ... ولك النبي فدى من الإتلاف؟
فأجاب : كلا لا سلمت من الردى ... ويصاب أنف محمد برعاف

وقد عُرِفَت هذه الحادثة المفجعة «بالرجيع» نسبة إلى ماء الرجيع الذي حصلت عنده ، وبذلك افتقد المسلمون عشرة من خيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يموتون في وقت واحد ، فكان مصاباً مؤلماً للنبي ﷺ وللمسلمين ، ومما زاد من إيلامهم إنه في ذات الوقت الذي حدث فيه بعث الرجيع ، حدث حادث أليم على المسلمين أيضاً ، وهو حادث بئر معونة ، وهو ما سنتناوله في الدرس القادم إن شاء الله .

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص٥٣٤ .
(٢) الدَّثِنَّه بفتح الدال ، وكسر الثاء ، وفتح النون المشددة
(٣) ينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٢٨) ، وينظر/ الروض الأنف (٦/ ١٦٦) .

ما يستفاد من الدرس :

١ – اليقظة الإسلامية تجاه الأعداء بعد غزوة أُحد جعلت الأعداء يلجؤون إلى الغدر والخيانة .

٢ – حرص النبي ﷺ على القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى رغم المخاطر المحيطة بالمسلمين .

٣ – سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي ﷺ وتضحيتهم في سبيل نشر الدعوة .

٤ – غدر أفراد قبيلتي عضل والقارة بالصحابة رضي الله عنهم وتسليمهم لقبيلة هذيل .

٥ – حماية الله تعالى لعاصم بن ثابت رضي الله عنه بجماعات الدبر كرامةً له وإبراراً من الله تعالى لقسمه .

٦ – اعتراف المرأة بفضل خبيب بن عدي رضي الله عنه وتحدثها بما أظهره الله تعالى معه من كرامات .

٧ – بيان ثبات خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة رضي الله عنهما عند القتل ومدى حبهما لرسول الله ﷺ .

التقويم

السؤال الأول : علّل ما يأتي :

١ – إرسال النبي ﷺ فريقاً من الصحابة إلى قبيلتي عضل والقارة رغم المخاطر :

.....

.....

٢ – رفض عاصم بن ثابت رضي الله عنه أن يسلّم نفسه للمعتدين من قبيلة هذيل :

.....

السؤال الثاني : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١– «إني نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبداً »

القائل : (.....)

٢– «لولا أن تروا ما بي جزع من الموت لزدت»

القائل : (.....)

٣– «ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً »

القائل : (.....)

السؤال الثالث : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	إرسال النبي ﷺ الصحابة رغم المخاطر		وأسلموهم إلى قبيلة هذيل
٢	غدر أفراد قبيلتي عضل والقارة بالصحابة		دليل على حرصه على تبليغ الدعوة
٣	حماية الله تعالى لعاصم بن ثابت رضي الله عنه		أول من سن ركعتين قبل القتل
٤	خبيب بن عدي رضي الله عنه		أول سفير في الإسلام
			بجماعات الدبر كرامة من الله تعالى له

السؤال الرابع : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١ – حمل خبيباً بن عدي ودفنه ليلاً بعد قتله وصلبه (.....)

٢ – اشتراه صفوان بن أمية وقتله بأبيه أمية بن خلف الذي قُتِل ببدر (.....)

السؤال الخامس : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(سلافة بنت سعد – الخمر –اثنين – بنو لحيان – غزوة بدر – مئة ناقة – الدبر)

كان بمكة إمرأة مشركة تسمى ..... وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قتل من أهلها ..... فنذرت لئن أمكنها الله منه أن تشرب في رأسه ..... ،وجعلت لمن جاء برأس عاصم رضي الله عنه ..... ، وقد علمت بذلك العرب ، وعلمته ..... ، فأرادوا أن يقطعوا رأس عاصم ليذهبوا به إليها ، فحماه الله تعالى بجماعات من ..... ، فلم يدنُ إليه أحد إلا لدغت وجهه .

فاجعة بئر معونة

تمهيد :

إبلاغ الدعوة وحمل رسالة الله تعالى إلى الناس ، واجب لا يمكن أن يقصّر فيه المسلمون ، مهما كانت الظروف المحيطة ، والمخاطر المتوقعة ، والملاحظ في تلك الأحداث والمصائب التي حلت بالمسلمين بعد غزوة أُحد ، أنّ المسلمين كانوا يفتقدون فيها خيار الصحابة وعلماءهم وحملة كتاب الله تعالى ، إذ أن هؤلاء هم الذين كان النبي ﷺ يرسلهم في المهام الدعوية والتعليمية ، وقد رأينا ثبات الصحابة رضي الله عنهم الذين استشهدوا في حادثة « الرجيع » ، ولا يقل عنهم كذلك في الثبات والتضحية هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين استشهدوا في حادثة «بئر معونة» .

تاريخ ووقائع حادثة بئر معونة :

في شهر صفر على رأس أربعة أشهر من «غزوة أُحد» قَدِمَ أبو البراء عامر بن مالك وكانت شهرته «ملاعب الأسنة» – سيد بني عامر – ، على رسول الله ، فأهدى لرسول الله ﷺ فرسين وراحلتين ، فقال رسول الله ﷺ : لا أقبل هدية مشرك ! ، ثم عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إلى دين الله تعالى فلم يُسلم ، ولكنه في ذات الوقت لم يظهر عداءً للإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ، يدعونهم إلى أمرك ، فإني أرجو أن يستجيبوا لك[1] .

فقال رسول الله ﷺ : «إني أخشى عليهم أهل نجد»[2] . قال أبو البراء : أنا لهم جار ، فابعثهم ، فليدعوا الناس إلى أمرك ، فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الصحابة ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو رضي الله عنه ، وكان من بين الصحابة : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، في رجال من خيار الصحابة العلماء الحفظة رضي الله عنهم[3] ، ولقد تحدّث أنس

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : أحمد أحمد غلوش ، ص ٤٠٣ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٣٩)
(٣) بئر معونة : بين أرض بني عامر ، وحرة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرة بني سليم أقرب .

بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن صفات هؤلاء الصحابة فقال : يقرأون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء ، فبعثهم النبي ﷺ إليهم[1] . وأرسل معهم رسول الله ﷺ كتاباً إلى عامر بن الطفيل يدعوه إلى الإسلام .

وصول الصحابة إلى بئر معونة واستشهاد حرام بن ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

خرج المنذر بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصحابة مستجيبين لأمر رسول الله ﷺ حتى وصلوا بئر معونة ، فعسكروا بها وتركوا دوابهم تسرح ، وبعثوا في حراستها الحارث بن الصمة ، وعمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ثم أرسل الصحابة حرام بن ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برسالة رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، يدعوه فيها إلى الإسلام ، فأمّنه عامر ثم غدر به ، حيث أشار إلى رجل خلفه ليطعنه – مع أن الرسل لا تُقتل – فطعنه الرجل من ظهره ، فأنفذها حتى خرجت من صدره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولما اخترق الرمح ظهر حرام بن ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأدرك أنه ميت – أخذ الدم الذي يتفجر من جسده بيديه ، وبدأ يمسح به وجهه ورأسه ويقول : «فزت ورب الكعبة فزت ورب الكعبة»[2] .

سبحان الله ! فانظر إلى عظمة هذا الصحابي الشاب حرام بن ملحان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُطعن هكذا ، وكل الذي يفكر فيه في هذا الوقت أنه مات في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ شهيداً ، ويقول : فزت ورب الكعبة[3] .

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٣٧ .
(٢) ينظر/ السيرة النبوية – راغب السرجاني (٢٧/ ٧) .
(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي : ص ٣٣٩ .

تحريض عامر بن الطفيل القبائل على قتل باقي الصحابة السبعين رضي الله عنهم :

استصرخ عدو الله عامر بن الطفيل بني عامر على الصحابة رضي الله عنهم ، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن ننقض عهد أبي البراء – عامر بن مالك – وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، ورفض بنو عامر الاعتداء على الصحابة ، تقديراً لعهد سيدهم أبي البراء ، فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل من بني سليم وهم : «عصية ، ورعل ، وذكوان»[1] فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رآهم الصحابة رضي الله عنهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا رضي الله عنهم عن آخرهم .

وكان من أقوال هؤلاء الصحابة قبل موتهم : اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا . وأطلع الله رسوله على ما حدث مع الصحابة رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في المدينة : « إن إخوانكم قد قُتِلوا وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ورضيت عنا »[2] .

الصحابة الناجون من فاجعة بئر معونة :

استشهد الصحابة إلا كعب بن زيد رضي الله عنه ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فحُمل من بين القتلى فعاش رضي الله عنه بعدها ، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، ورجل من الأنصار فلم يعرفا بمصاب إخوانهم إلا برؤية الطير تحوم على مكان استشهاد الصحابة رضي الله عنهم ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال عمرو رضي الله عنه : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر . فقال الأنصاري رضي الله عنه : لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو رضي الله عنه ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذوا عمرو بن أمية رضي الله عنه أسيراً[3] .

---

(١) عُصَيَّة بضم العين وفتح الصاد وتشديد الياء المفتوحة ، ورِعْل : بكسر الراء وسكون العين ، وذَكْوان : بفتح الذال وسكون الكاف أسماء قبائل .
(٢) الخصائص الكبرى : جلال الدين السيوطي (١/ ٣٦٩) .
(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٠٤ .

كرامة عجيبة يشهد بها عدو الله عامر بن الطفيل :

قال عدو الله عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو أسير في أيديهم : إنه قد كانت على أمي نسمة – أي كان عليها عتق عبد – فأنت حر عنها ! وجز ناصيته . وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هل تعرف أصحابك ؟ قال : نعم . قال : فطاف فيهم وجعل يسأله عن أنسابهم ، فقال : هل تفقد منهم من أحدٍ ؟ قال : أفقد مولى لأبي بكرٍ يقال له عامر بن فهيرة ، فقال : كيف كان فيكم ؟ قال ، قلت : كان من أفضلنا ومن أول أصحاب نبينا ، قال : ألا أخبرك خبره ؟ وأشار إلى رجلٍ فقال : هذا طعنه برمحه ، ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل عُلواً في السماء حتى والله ما أراه .

وفي رواية البخاري : فأشار إلى قتيلٍ ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قُتِل رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع[1] .

وكان الذي قتله رجل يقال له جبار بن سلمى ، وقد تحدث جبار بن سلمى عن قتله عامر بن فهيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وذكر أنه لما طعنه ، سمعه يقول «فزت والله» ! قال ، فقلت في نفسي : ما قوله «فزت»[2]؟ وأخذ يسأل عن معنى هذه الكلمة فعرف أنها الجنة فَأَسْلَم ، وقد حمله على اعتناق الإسلام ما رآه من رفع عامر بن فهيرة إلى السماء بعد استشهاده ، ثم وضعه مرة ثانية .

فانظر إلى هذا الحدث : كلمة مقتول «عامر بن فهيرة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعلت القاتل «جبار بن سلمى» يدخل في الإسلام .

عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقتل رجلين من بني عامر لهما عهد من النبي ﷺ :

في أثناء رجوع عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقبل رجلان من بني عامر ، حتى نزلا معه في ظل هو فيه . وكان مع الرجلين عقد من رسول الله ﷺ وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقد سألهما

---

(١) رواه البخاري : باب غزوة الرجيع ، ورعل ، وذكوان ، وبئر معونة (رقم ٤٠٩٣) .

(٢) ذكر الواقدي عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قدم وفدهم وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فنزلوا دار رملة ، وكان بين جبار بن سلمى وبين كعب بن مالك صحبة ، فجاء كعب فرحب بهم ، وأكرم جباراً ، وانطلق معهم إلى النبي ﷺ ، فأسلموا وأسلم جبار وحسن إسلامه . ينظر/ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ١٣٣) .

حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثأره من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما قدم عمرو بن أمية رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله ﷺ : «لقد قتلت قتيلين ، لأدينهما» – أي لأدفع ديتهما – ثم قال رسول الله ﷺ : «هذا عمل أبي براءٍ ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً» .

فبلغ ذلك أبا براءٍ فشق عليه نقض عامرٍ بن الطفيل عهده مع رسول الله ﷺ ، واعتداؤه على الصحابة رضي الله عنهم[1] .

حزن النبي ﷺ على شهداء بئر معونة :

تألم النبي ﷺ لأجل مأساة «بئر معونة» ولأجل مأساة «الرجيع» اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً ، وتغلب عليه الحزن والقلق ، حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي غدرت بالصحابة رضي الله عنهم ثلاثين صباحاً . فعن أنس رضي الله عنه قال : دعا النبي ﷺ على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحاً ، يدعو في صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعصية»[2] .

تأديب النبي ﷺ لهذه القبائل المعتدية :

بعد حادثة «الرجيع» و « بئر معونة» بفترة قليلة من الزمن ، وخاصةً بعد تخلص المسلمين من يهود بني النضير ، خرج رسول الله ﷺ لتأديب الأعراب الذين آذوا المسلمين بعد غزوة أُحد ، والذين بلغت بهم الجرأة محاولة القيام بغزو المدينة ، فأسرع رسول الله ﷺ للخروج إليهم في أربعمئة من أصحابه بعدما ولى على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه ، فلما وصل إلى ديارهم بنجد فروا في رؤوس الجبال فلم يقابل منهم أحداً ، وقد وقعت هذه الغزوة في ربيع الثاني وأوائل جمادى الأولى من العام الرابع للهجرة[3] ، ويلاحظ أن هذه الغزوة كانت في بلاد نجد البعيدة عن المدينة .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٤٣) بتصرف .

(٢) رواه البخاري : في باب غزوة الرجيع ، ورعل ، وذكوان ، وبئر معونة رقم (٤٠٩٥) وينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٤٠٦ .

(٣) والبعض يسمي هذه الغزوة بذات الرقاع وهوً غير صحيح لأن غزوة ذات الرقاع شهدها أبو هريرة وأبو موسى الأشعري اللذان أسلما وقدما إلى رسول الله ﷺ قبل خيبر بأيام وبذلك فزمنها بعد خيبر على الأرجح .

وهكذا أخاف المسلمون هذه القبائل المعتدية ، وأوقعوا في قلوبهم الرعب ، ثم رجعوا إلى المدينة آمنين .

وبهذا العمل العسكري التأديبي أظهر المسلمون قوتهم ، وأنهم يستطيعون الوصول إلى الأعداء في أي مكان لإبطال كيدهم ، ومنعهم من العدوان أو التفكير فيه ، وليتفرغ المسلمون لملاقاة قريش الذين كانوا يتوعدون المسلمين ، ويهددونهم مستعينين بهؤلاء الأعراب[١] .

نهاية عدو الله عامر بن الطفيل :

كان عدو الله عامر بن الطفيل رجلاً متكبراً ، طامعاً في الملك ، وكان يرى أن النبي ﷺ سوف تكون له الغلبة على الجزيرة العربية ؛ ولذلك جاء هذا المشرك إلى النبي ﷺ وقال له : أخيّرك بين ثلاث خصال : أن يكون لك السهل ، ولي أهل المدر[٢] ، أو أن أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء[٣] . أي أنه يهدد النبي ﷺ فرفض ﷺ تلك المطالب جميعاً .

وقد ظل عامر بن الطفيل على عداوته لرسول الله ﷺ وللمسلمين و لم يدخل المدينة إلا بأمانٍ من رسول الله ﷺ ، فلما جاء النبي ﷺ قال له النبي ﷺ : «يا عامر ، أسلم تسلم» ، ولكنه بتكبر يرد على النبي ﷺ قائلاً :

يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ ، فقال ﷺ : «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم» قال عامر : أتجعل لي الأمر- إن أسلمت - من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ليس ذلك لك ولا لقومك» فولى وهو يقول : والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً . أي أنه يهدد النبي ﷺ بمهاجمة المدينة .

فمكث النبي ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً يقول : «اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت ، وابعث عليه داء يقتله » فبعث الله عليه طاعوناً فقتله[٤] وكانت هذه نهاية عدو الله عامر بن الطفيل .

---

(١) ينظر : السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٤١٢ . وينظر/ في الرحيق المختوم مع زيادات ، ص ٢٣٧ .
(٢) السهل : أي البوادي . والمدر : البلاد .
(٣) يقصد بألف أشقر وألف شقراء الخيل
(٤) دلائل النبوة للبيهقي محققاً (٥/ ٣٢٠) .

ما يستفاد من الدرس :

١ – بيان أهمية القيام بواجب الدعوة رغم كثرة المخاطر المحيطة بالمسلمين .

٢ – سرعة استجابة الصحابة ﷺ لأوامر النبي ﷺ بالقيام بمهام دعوية وتعليمية .

٣ – غدر عامر بن الطفيل بمساعدة قبائل عصية ورعل وذكوان بأصحاب النبي ﷺ .

٤ – رفض بني عامر المشاركة في قتل الصحابة ﷺ مع عامر بن الطفيل .

٥ – بيان فضل عامر بن فهيرة رضي الله عنه عند استشهاده حيث رُفِعَ إلى السماء ثم وُضِع .

٦ – حزن النبي ﷺ على شهداء بئر معونة ومكوثه شهراً يدعو على من قتلهم .

٧ – خروج النبي ﷺ إلى قبائل نجد لتأديب الأعراب الذين آذوا المسلمين وقتلوهم .

٨ – موت عامر بن الطفيل بمرض الطاعون بعد دعاء النبي ﷺ عليه بداء يقتله .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – مات عامر بن الطفيل بمرض :

(الحمى – الطاعون – البرص)

٢ – مكث النبي ﷺ يدعو على رعل وذكوان وعصية :

(أسبوعاً – يوماً – شهراً)

٣ – عدد الصحابة الذين بعثهم النبي ﷺ وعسكروا عند بئر معونة :

(ستون – سبعون – ثمانون) رجلاً

٤ – الصحابي الذي شوهد بعد قتله يعلو في السماء :

(عامر بن فهيرة – أبو ذر – الحارث بن الصمة)

٥ – أبو البراء عامر بن مالك سيد بني عامر عُرِف

بـ : (حامل السيوف – رامي القوس – ملاعب الأسنة)

السؤال الثاني : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ – « لا أقبل هدية مشركٍ »

القائل : (.....)

٢ – «فزت ورب الكعبة فزت ورب الكعبة»

القائل : (.....)

٣ – «والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ولأربطن بكل نخله فرساً»

القائل : (.....)

السؤال الثالث : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- بعثه النبي ﷺ أميراً على سبعين من الصحابة لدعوة أهل نجد (.....)

٢- قال للنبي ﷺ : أنا لهم جار ، فابعثهم ، فليدعوا الناس إلى أمرك (.....)

السؤال الرابع : أجب عما يأتي :

١ - ماذا فعل عامر بن الطفيل مع الصحابي الذي حمل رسالة النبي ﷺ إليه ؟

.....

٢ - عدّد بعض صفات الصحابة الذين بعثهم النبي ﷺ لدعوة أهل نجد إلى الإسلام :

- .....
- .....

٣ - سجل اثنين مما عرضه عامر بن الطفيل على النبي ﷺ :

- .....
- .....

السؤال الخامس : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١ - أسلم جبار بن سلمى الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه . ( )

٢ - قبول النبي ﷺ شروط عامر بن الطفيل حتى يُسلم . ( )

٣ - خرج النبي ﷺ بعد حادثة «بئر معونة» لتأديب القبائل المعتدية . ( )

٤ - قتل عمرو بن أمية رضي الله عنه رجلين من بني عامر لهما عهد من النبي ﷺ . ( )

غزوة بني النضير

تمهيد :

كان يهود «بني النضير» يتحرقون غيظاً على الإسلام والمسلمين ، إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وقتال ، بل كانوا أصحاب خداع ومؤامرة ، وكانوا يختارون أنواعاً من الحيل لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا ضد المسلمين بقتال ، بالرغم مما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق كان هذا حال يهود «بني النضير» ، ولكنهم بعد وقعة بني قينقاع وقتل كعب بن الأشرف خافوا على أنفسهم ، فاستكانوا والتزموا الهدوء والصمت ، ثم بعد غزوة أُحد تجرؤوا فكاشفوا بالعداوة والغدر ، وأخذوا يتصلون بالمنافقين وبالمشركين من أهل مكة سرًا ، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين .

صبر النبي ﷺ على «بني النضير» حتى ازدادوا جرأةً وجسارةً بعد حادثتي «الرجيع» و«بئر معونة» ، وتآمروا على قتل النبي ﷺ [١] .

تاريخ غزوة «بني النضير» :

بعد غزوة أُحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة بدأت أحداث الغزوة .

أسباب غزوة «بني النضير» :

١ – نقض «بني النضير» عهودهم مع النبي ﷺ ، التي تقتضي عدم المساعدة في أي عدوان يأتي على المدينة من خارجها ، فلم يحافظوا على العهد ، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة والتي يمكن للأعداء الهجوم منها [٢] .

٢ – محاولة يهود « بني النضير» اغتيال النبي ﷺ . كما سنبينه فيما يأتي :

(١) الرحيق المختوم مع زيادات : ص ٢٣٥ . وينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٤٠٧ .
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٤٩ .

سير الأحداث :

تذكر : أنه بعدما وقعت حادثة « بئر معونة» ، وعند رجوع عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَل رجلين من بني عامر على سبيل الخطأ ، وكان الرسول ﷺ قد أعطاهما جواره وعهده ، فلما قدم عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبر رسول الله ﷺ بما فعل ، فقال رسول الله ﷺ : لقد قتلت قتيلين لأدينهما – أي لأدفع إلى أهلهما الدية – وانشغل بجمع دياتهما من المسلمين وحلفائهم اليهود [١] ، لأن الاتفاق الذى تم العهد عليه عندما قَدِم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة أن يتعاونا في أداء الديات[٢] .

بناء على هذا الاتفاق ذهب النبي ﷺ إلى منازل بني النضير في ضواحي المدينة المنورة ، ليستعين بهم في دية القتيلين ، فلما تحدث معهم النبي ﷺ أظهروا الرضا بمعونته ، وكان مع النبي ﷺ عشرة من أصحابه بينهم (أبو بكر وعمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) . وقال له اليهود : نفعل يا أبا القاسم ، اجلس ههنا حتى نقضي حاجتك ، فجلسوا إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظرون وفاءهم بما وعدوا .

وخلا اليهود بعضهم إلى بعض ، ويبدو عليهم كأنهم تذاكروا مقتل كعب بن الأشرف ، وسوّل لهم الشيطان الشقاء الذي كُتِبَ عليهم ، فتآمروا على قتله ﷺ ، وقالوا : من رجل يصعد على ظهر البيت ، فيُلقي على محمد صخرة ، فيقتله ، فيريحنا منه؟[٣] . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش . . فقال عمرو بن جحاش : أنا – أي أنا أُلقي عليه حجر الرحى – فقال لهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، فو الله ليُخبرَن بما هممتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، لكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم .

عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ من مؤامرة يهود بني النضير :

نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر رب العالمين على رسوله ﷺ يعلّمه بما هموا به ، فنهض مسرعاً ، وتوجه إلى المدينة ، ولما استبطأه أصحابه قاموا للتفتيش عنه ، فرأوا رجلاً مقبلاً من المدينة المنورة فأخبرهم أن النبي ﷺ هناك ، فأسرعوا يلحقون به . فلما وصلوا إليه قالوا : نهضت ولم نشعر

(١) الرحيق المختوم مع زيادات : ص ٢٣٣ .
(٢) خاتم النبيين ﷺ : محمد أبو زهرة (٢/ ٦٥٨)
(٣) جوامع السيرة النبوية : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٤٤ .

بك ، فأخبرهم بما همّ به يهود « بني النضير» ، فلما ذكر النبي ﷺ ما رابه من أمرهم ومن اعتزامهم الغدر به ، تنبه الصحابة رضي الله عنهم إلى حركات يهود «بني النضير» التي تدل على مؤامرتهم للقضاء على حياة النبي ﷺ [١] .

وقد عرف بعد ذلك أن عمرو بن جحاش اليهودي هو الذي أراد قتل النبي ﷺ بإلقاء حجر الرحى عليه من فوق سطح الجدار الذي كان النبي ﷺ يجلس تحته[٢] .

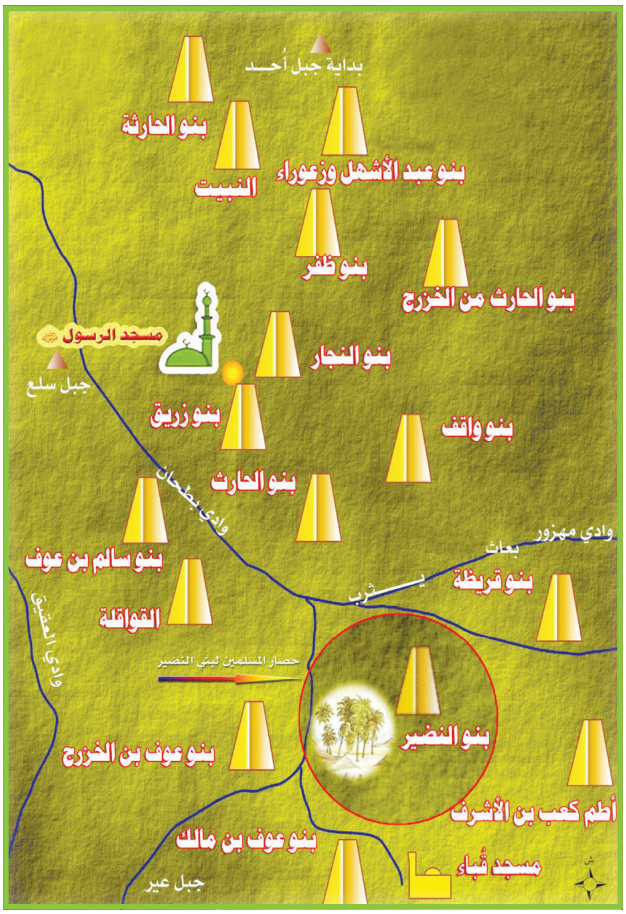

النبي ﷺ يبدأ خطوات إجلاء بني النضير :

استدعى النبي ﷺ محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقال له : « اذهب إلى يهود بني النضير ، وقل لهم : إن رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي ! لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي . لقد أجلتكم عشراً – أي عشرة أيام – ، فمن رُئِي بعد ذلك ضربت عنقه» .

أهل النفاق يعدون يهود «بني النضير» بالنصرة :

أيقن يهود « بني النضير» أن الله تعالى أطلع رسوله ﷺ على مؤامرتهم ، فلم يجدوا ملجأً إلا الخروج ، وبينما هم في حيرتهم لا يدرون ما يفعلون ، جاءتهم رسل أهل النفاق أمثال عبد الله بن أُبي وأتباعه قائلين لهم : اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم : إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخْرجتم خرجنا معكم ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لن يخرجوا ، ونابذوه بنقض العهود[٣] .

(١) الرحيق المختوم مع زيادات : ص ٢٣٥ .
(٢) الرسول القائد : محمود شيت خطاب ، ط ٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٠٦ ، ١٤٢٢ هـ .
(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة : محمد أبو شهبة (٢/ ٤٠٠) . وينظر/ الرسول القائد ، ص ٢٠٨ .

لقد أعاد وعد المنافقين لليهود ثقتهم بأنفسهم ، واستقر رأيهم على القتال ، وأخذت العزة بالإثم زعيمهم حُيي بن أخطب ، فبعث إلى النبي ﷺ من يقول له : لن نخرج ، فافعل ما بدا لك ! . . . ثم احتموا بحصونهم ونقلوا الحجارة إلى شوارعهم وأقاموا منها متاريس وخنادق للاحتماء وراءها في القتال ، وكدّسوا أرزاقاً تكفيهم لمدة سنة في حالة حصارهم ؛ وكان الماء متيسراً لديهم باستمرار .

وفي موقف المنافقين مع يهود «بني النضير» نزل قول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1] .

النبي ﷺ يُحاصر « بني النضير » :

استخلف النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، وتحرك المسلمون بقيادته ﷺ إلى ديار «بني النضير» في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة ، فحاصروهم عشرين ليلة ، وكان المسلمون أثناء الحصار يحتلون شارعاً بعد شارع وداراً بعد دار ، ولما رأى الرسول ﷺ إصرار يهود «بني النضير» على القتال مستفيدين من حصونهم القوية ، أمر أصحابه رضي الله عنهم أن يقطعوا نخل اليهود وأن يحرقوه ، ليكون ذلك أدعى إلى تسليمهم ، وحتى لا يبقى اليهود حريصين على القتال طمعاً في المحافظة على أموالهم ، ففزعوا ونادوا : يا محمد ، كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ ! ولم يكن هذا إفساداً إنما هو وسيلة لنشر السلام والأمان والتقليل من إراقة الدماء ، وكان بأمر الله وإذنه[2] .

(١) سورة الحشر : ١١- ١٣ .
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٠٠)

قال تعالى :

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]

وعلينا أن نعلم أن قطع الشجر وهدم البناء إذا كانت توجبه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لإيذاء جيش المسلمين ، فإنه لا مفر من قطع الأشجار وهدم البناء ، على أنه ضرورة من ضرورات القتال ، كما فعل النبي ﷺ مع بني النضير[2] .

استسلام يهود «بني النضير» وخضوعهم لأمر رسول الله ﷺ :

انتظر يهود بني النضير مساعدة عبد الله بن أُبي والمنافقين معه ، ولكنه خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبل .

فملأ الرعب قلوبهم ، وأيقنوا أن حصونهم لا تمنعهم من سوء المصير ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويؤمنهم على دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة - أي السلاح - ، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجلاء ، وعلى أن لكل ثلاثة منهم بعيراً يحملون عليه ما شاؤوا من أموال ، فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم ، ليحملوا منها ما استطاعوا مما يحرصون عليه ، ولكيلا ينتفع بها المسلمون ، فمنهم من خرج إلى خيبر كحُيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، ومنهم من ذهب إلى أذرعات بالشام ، وتركوا وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من غلال وسلاح وعقار ودور ، ولما كان المسلمون قد أخذوها صلحاً بدون حرب ولا قتال ، كانت فيئًا من حق رسول الله ﷺ يتصرف فيها كيف شاء ، وقد قسّمها على المهاجرين دون الأنصار ، بعد أن استبقى منها قسماً خُصِّصَت غلّته لذوي القربى والفقراء والمساكين ، ليغني المهاجرين ويزيل فاقتهم ، ويخفف العبء عن الأنصار ، الذين آووا المهاجرين في بيوتهم وأموالهم منذ الهجرة إلى

(١) سورة الحشر : ٥ .

(٢) ينظر : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٥٥ ، بتصرف .

المدينة ، ولم يأخذ من الفيء من الأنصار إلا أبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، والحارث بن الصمة رضي الله عنهم فقد شكوا فقراً .

وبإجلاء يهود «بني النضير» من المدينة أراح الله تعالى المسلمين من شوكة ثانية – بعد بني قينقاع – كانت تقضُّ مضاجعهم ، ولو أن هؤلاء الأشرار نجحوا في مكيدتهم وقتلوا رسول الله ﷺ لقضوا على الإسلام في مهده ، وحرموا البشرية من عظمة تعاليمه[1] ولكن الله تعالى حفظ رسوله ﷺ ليحفظ الإسلام لهذه الأمة ، وما أعظمها من نعمة .

ما يستفاد من الدرس :

١ – غدر اليهود ومكرهم حقيقة مستقرة على مدار الزمن .

٢ – نقضُ يهود بني النضير العهد مع النبي ﷺ وتآمرهم على قتله .

٣ – تخلي المنافقين بقيادة عبد الله بن أُبي عن عهودهم بالنصرة لبني النضير .

٤ – الفيء هو ما أخذه المسلمون من الأعداء صلحاً بدون قتال .

٥ – تقسيم النبي ﷺ أموال بني النضير على المهاجرين ليغنيهم ويزيل فاقتهم .

٦ – تخريب يهود بني النضير بيوتهم بأيديهم كي لا ينتفع بها المسلمون .

٧ – تخلص المسلمين بإجلاء يهود بني النضير من شوكة خطيرة كانت في ظهورهم .

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٠١) . وينظر/ الرسول القائد ، ص ٢٠٨ .

التقويم

السؤال الأول : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- أرسله النبي ﷺ إلى يهود بني النضير يأمرهم بالخروج (.....)

٢- أراد أن يلقي صخرة على النبي ﷺ في بني النضير ليقتله (.....)

السؤال الثاني : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(المنافقون - مكر - الفيء - العهد - خيبر - أبودجانة - المشركون)

١ - اليهود أهل ..... وخداع وليسوا أهل حرب وقتال .

٢ - من الأنصار الذين أخذوا من فيء بني النضير .....

٣ - نقض يهود بني النضير ..... مع النبي ﷺ وتآمرهم على قتله .

٥ - تخلى ..... عن يهود بني النضير بعد حصار النبي ﷺ لهم .

٥ - ذهب حُيي بن أخطب بعد إجلاء بني النضير إلى .....

٦ - ..... هو ما أخذه المسلمون من الأعداء صلحاً بدون قتال .

السؤال الثالث : صوّب ما تحته خط فيما يأتي :

١ - وقعت غزوة بني النضير في السنة الثالثة للهجرة . (.....)

٢ - استخلف النبي ﷺ على المدينة في غزوة بني النضير أبوالدرداء رضي الله عنه . (.....)

السؤال الرابع : أجب عما يأتي :

١ – لماذا سعى يهود بني النضير إلى تخريب بيوتهم بأيديهم عند خروجهم من المدينة ؟

- .....

٢ – اكتب أسباب غزوة بني النضير :

- .....
- .....

٣ – علّل : إعطاء النبي ﷺ ما أخذه من فيء بني النضير للمهاجرين :

- .....
- .....

السؤال الخامس : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ – «لا تفعلوا ، فو الله ليُخبرَن بما هممتم به»

القائل : (.....)

٢ – « إن رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي»

القائل : (.....)

غزوة ذات الرقاع

تمهيد :

مما لا شك فيه أن غزوة أُحد قد تركت آثاراً صعبة على المسلمين لفترات طويلة ، وخاصةً أن الأعداء كانوا يحيطون بالمسلمين من كل جانب ، وقد كان لتعامل النبي ﷺ والمسلمين مع الأحداث ، وكيفية معالجة كل حدث بما يتناسب معه من الأساليب أعظم الأثر في تخطي هذه الفترة العصيبة ، ولم يكن تخلص النبي ﷺ والمسلمين من بني النضير ، أو من أمثال خالد بن سفيان الهذلي نهاية المطاف كي تستقر الأوضاع للمسلمين بعد غزوة أُحد ، لأن قبائل الأعراب لاتزال بقوتها ، ولاتزال تراودها فكرة مهاجمة المدينة والسطو على ممتلكات المسلمين ، وكان من بين هذه القبائل التي جمعت جموعها لمهاجمة المدينة : «بني محارب» و «وبني ثعلبة» من غطفان .

غزوة «ذات الرقاع» وسبب تسميتها بهذا الاسم :

تعددت أقوال العلماء عن سبب تسمية غزوة ذات الرقاع بهذا الاسم[١] وأصح الأقوال في هذه التسمية ما ذكره أبو موسى الأشعري رضي الله عنه حيث قال : كنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا[٢] .

وقد أطلق العلماء على هذه الغزوة اسم : «غزوة الأعاجيب» ، لما وقع فيها من الأمور العجيبة[٣] .

---

(١) من أسباب تسمية الغزوة بهذا الاسم : أنها كانت عند جبل فيه بقع حمر وبيض وسود كأنها رقاع . وقيل : سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم وقيل : ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع .

(٢) إمتاع الأسماع : تقي الدين المقريزي (١/ ١٩٦)

(٣) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز رفاعة رافع الطهطاوي (١/ ٢٧١) ، ط ١ ، دار الذخائر ، القاهرة ، ١٤١٩ هـ .

تاريخ غزوة «ذات الرقاع» : [1]

كانت غزوة ذات الرقاع في العام الرابع من الهجرة بعد غزوة بني النضير بشهرين .

حيث خرج رسول الله ﷺ ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً .

أسباب غزوة «ذات الرقاع» :

١ – تأديب بعض القبائل التي كانت تعتدي على المسلمين بين الحين والحين ، مثل هؤلاء الذين قتلوا الصحابة في الرجيع ، وبئر معونة .

٢ – إحباط محاولة بني محارب وبني ثعلبة غزو المدينة ، وتفريق جمعهم قبل أن يتمكنوا من ذلك [2] .

أحداث غزوة « ذات الرقاع» :

قدم رجل بسلعة يبيعها في المدينة ، فاشتراها منه أهلها ، فقال للمسلمين : إن بني أنمار ، وبني سعد بن ثعلبة قد جمعوا لكم جموعاً ، وأراكم هادئين عنهم – أي غافلين عن أمرهم – فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة ، قيل : أبا ذر الغفاري رضي الله عنه ، وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة ليلة السبت لعشر خلون من المحرم ، وقيل كان مع النبي ﷺ من الصحابة أربعمئة ، وقيل : سبعمئة ، وقيل : ثمانمئة [3] وكان لا بد للنبي ﷺ من أن يعلن عن قوة أهل الإيمان ، وأن يقتص من الذين قتلوا أصحابه غدراً وخيانةً .

---

(١) تعددت أقوال العلماء في حديثهم عن وقت هذه الغزوة ، يقول الدكتور الصلابي : اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة ، وقد ذهب البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر ، وذهب ابن إسحاق إلى أنها بعد غزوة بني النضير ، وقيل بعد الخندق سنة أربع ، وعند الواقدي وابن سعد أنها كانت في المحرم سنة خمس ، وقد ذكر بعض العلماء : أن تاريخ الغزوة كان في السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريبًا على إجلاء بني النضير ، وقالوا : هذا الرأي ذهب إليه أكثر علماء السير والمغازي ينظر/ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٦٢ .

(٢) ينظر في القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٥٩ . وينظر/ نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (١/ ٢٧١)

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ١٧٥)

تحرك النبي ﷺ بالصحابة حتى وصل إلى وادي الشقرة[1] ، فأقام فيها يوماً وبث السرايا ، فرجعوا منها مع الليل وخبّروه أنهم لم يروا أحداً ، فسار رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ «نجداً» وأتى مجالسهم ، فلم يجد فيها أحداً إلا نسوة فأخذهن وقد هربت الأعراب في رؤوس الجبال ، وهم مطلون على المسلمين ، وفي رواية : أن رسول الله ﷺ لقى جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم قتال ، فخاف الفريقان بعضهم من بعض ، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم ، وهم غارون – أي غافلون – وخاف المشركون أن لا يبرح رسول الله – ﷺ حتى يستأصلهم[2] .

مشروعية صلاة الخوف :

كانت الأهبة للحرب من جانب المشركين عنيفة شديدة ، وإن كان الله تعالى قد ألقى في قلوب المشركين الرعب ، وكان على المؤمنين أن يحذروهم ، ولقد كان المشركون يتفاهمون فيما بينهم على أن ينقضوا على المسلمين إذا حان وقت صلاتهم ، فكانوا يطمعون أن يصيبوا منهم غرة وقت صلاتهم ، حتى قالوا : لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم وأمهاتهم ، وهي العصر ، فأجمعوا أمركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة . ولكن الله تعالى قد أمر عباده المؤمنين بأخذ الحذر ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾[3]

(١) الشُقْرة : بضم الشين المعجمة وسكون القاف : اسم موضع على يومين من المدينة .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ١٧٥) .
(٣) سورة النساء : ٧١

ولذلك شُرعت صلاة الخوف لمثل هذه الحال ، ونزلت آية شرعيتها في هذه الغزوة ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾[1]

ويظهر أن الآيات قد نزلت في وقت ذلك اللقاء الذي كان فيه الحذر من الجانبين[2] .

صفة صلاة الخوف وكيفية أدائها :

تقف طائفة خلف الإمام للصلاة ، وطائفة في وجه العدو ، فيصلي الإمام بالطائفة التي معه ركعة ، ثم يثبت قائمًا ، ويتموا لأنفسهم ثم ينصرفوا ، فيصفوا في مواجهة العدو ، وتأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم الإمام الركعة التي بقيت في صلاته ، ثم يثبت جالساً ، ويتموا لأنفسهم ثم يُسلّم بهم الإمام[3] .

ودل تشريع صلاة الخوف على أهمية الصلاة وعدم التهاون بها ، حتى في قلب المعركة . وكان ذلك أول ما صلى النبي ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف .

من أعاجيب هذه الغزوة : سبق أن ذكرنا أن هذه الغزوة أطلق عليها العلماء «غزوة الأعاجيب» لكثرة ما وقع فيها من معجزات وقصص وأمور عجيبة ، وكان من هذه الأمور إجمالاً :

١- حفظ الله تعالى نبيه ﷺ من محاولة اغتيال .

---

(١) سورة النساء : ١٠٢

(٢) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٦٧١)

(٣) وفي رواية : أنه صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة ، فصلاها مرة على النحو الأول وصلاها مرة أخرى على النحو الثاني وحديث مسلم يدل على أن المسافر يجوز له أن يتم الرباعية ويقصرها . وينظر/ فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ص ١٩٥ .

٢- البركة في الطعام .

٣- ثبات عبّاد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعض مناقبه .

٤- قصة جمل جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وسوف نذكر ذلك بشيء من التفصيل فيما يلي :

١ - حفظ الله تعالى نبيه محمداً ﷺ من محاولة اغتيال :

عندما كان الجيش الإسلامي عائداً من غطفان إلى المدينة المنورة نزل في مكان ليستريح ، فتفرق الناس في ظلال الشجر ليستظلوا ، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ، فعلّق بها سيفه ، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فنمنا نوماً ، أي : الرسول ﷺ وجميع الصحابة ناموا ، فالطريق متعب ، قال : فجاء رجل من الأعراب المشركين فاخترط سيف رسول الله ﷺ ورفعه فوق رأس الرسول ﷺ وفجأة استيقظ الرسول ﷺ ووجد الأعرابي واقفاً على رأسه بالسيف ، فقال له الأعرابي المشرك - وهو من غطفان- : أتخافني ؟ فرد الرسول ﷺ وقال : لا .

كان من المتوقع أن يقتل هذا الرجل رسول الله ﷺ ، وبذلك ينال الشرف بين غطفان ، لكن الرجل لم يفعل ذلك ، وهذا من عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ ، قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١)

فما اهتز النبي ﷺ ولا دخل في قلبه خوف ، فتعجب الأعرابي ، السيف في يده والرسول ﷺ أعزل وليس معه أحد ، ومع ذلك لا يخاف ، فقال الأعرابي : فمن يمنعك مني؟ فقال ﷺ : الله . فوقع السيف من يد الأعرابي ، فأمسك رسول الله ﷺ بالسيف ورفعه على الأعرابي وقال له : من يمنعك مني ؟ والأعرابي كافر ما استطاع أن يقول : الله ، وما استطاع أن يلجأ إلى آلهته المزعومة من الأصنام ، لكنه طمع في كرم الرسول ﷺ فقال له : كن خير آخذ ، فقال ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ فقال الأعرابي : أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

(١) سورة المائدة : ٦٧

فالرجل لم يُسلِم ساعتها ، لكنه وعد الرسول ﷺ ألا يقاتله بعد ذلك ، ومع ذلك أطلق رسول الله ﷺ سراحه ولم يعاقبه ، وعاد الرجل إلى أهله سالماً وقال لهم : جئتكم من عند خير الناس ، وفي رواية : أن عدداً كبيراً من أهله أسلم ، وأن هذا الرجل اسمه غورث بن الحارث[١] ، وأسلم هذا الرجل بعد ذلك وكانت له صحبة[٢] ، وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته ، وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال[٣] .

٢ – ومن المعجزات التي حدثت في الغزوة :

أن بعض الصحابة أتى النبي ﷺ بثلاث بيضات من بيض النعام ، فقال لجابر رضي الله عنه دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات ، قال جابر رضي الله عنه : فعملتهن ، ثم جئت بهن في قصعة ، فجعلنا نطلب خبزاً فلم نجد ، فجعل ﷺ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كلٌّ إلى حاجته أي إلى الشبع ؛ والبيض في القصعة كما هو[٤] .

٣ – منقبة لعبّاد بن بشر رضي الله عنه :

دائماً يربي رسول الله ﷺ أمته على الأخذ بأسباب الحذر من الأعداء ، ومن ذلك أنه أثناء رجوع المسلمين إلى المدينة المنورة ، نزلوا بأحد الأماكن للراحة ، فنزل رسول الله ﷺ منزلًا فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فقال عبّاد بن بشر الأنصاري ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما : نحن يا رسول الله ، فقال لهما : فكونا بفم الشعب من الوادي ، فتقاسم الصحابيان الليل بينهما ، فقال عباد بن بشر رضي الله عنه لعمار بن ياسر رضي الله عنه أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع عمار رضي الله عنه فنام ، وقام عبّاد بن بشر رضي الله عنه يصلي[٥] .

فأراد عبّاد بن بشر رضي الله عنه أن يقطع الليل بالصلاة ، ووقف يصلي قيام الليل ، وكان المسلمون قد سبوا امرأة من المشركين ، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد ﷺ ، فجاء

---

(١) ينظر/ السيرة النبوية : راغب السرجاني (٣٥/ ٧) . وينظر/ في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ١٧٦)
(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٣٦٩)
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٦٥ .
(٤) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٣٧٢)
(٥) السيرة النبوية : لابن كثير (٣/ ١٦٤)

هذا المشرك من غطفان ليلاً ، ورمى عبّاد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهم ، فنزع عبّاد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السهم وأكمل صلاته ، والدم يسيل منه ويتفجر ، فرماه المشرك بسهم آخر فنزعه عبّاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأكمل صلاته ، فجاءه السهم الثالث فنزعه عبّاد ثم ركع وسجد وأنهى صلاته ، ولم يقطع الصلاة فجأة ولكنه أكمل صلاته ، ثم أيقظ عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فلما وجد عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدماء في كل مكان ورأى الأسهم الثلاثة ، قال لـ عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هلا أيقظتني أول ما رمى ؟ فقال له عبّاد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يقين وخشوع : كنت في سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها . و قال : وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أحب إلي من قطعها ، أي : لقطع هذا الرجل حياتي أحب إلي من أن أقطع قراءة السورة .

ولك أن تتصور مدى استمتاع عباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقراءته ، ومدى حبه لقيام الليل ، ومدى استغراقه في عبادته ، ومدى خشوعه وتركيزه في الصلاة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [1] .

٤ – قصة جمل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل – اسم مكان – على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : «ما لك يا جابر ؟ ، قال : قلت : يا رسول الله أبطأني جملي هذا ، قال : «أنخه» فأنخته ، وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو اقطع لي عصا من شجرة» قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت فخرج – والذي بعثه بالحق– يواهق ناقته مواهقة : أي يسابقها ويعارضها في المشي لسرعته ، فانطلق متقدماً بين يدي الركب ، وفي رواية : فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ حياءً منه لا يسبقه ، مع أني كنت أرجو أن يستاق معنا [2] .

ثم دار الحديث بين رسول الله ﷺ وجابر في تواضع عظيم من رسول الله ﷺ ، وحرص منه ﷺ على معرفة أحوال أصحابه ، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي : «أتبيعني

(١) ينظر في السيرة النبوية : راغب السرجاني (٣٥/ ٨) . وينظر/ في السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٦٤ .
(٢) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٣٧٠) .

جملك هذا يا جابر ؟ ، قال : قلت : يا رسول الله ! بل أهبه لك ، قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت : فثمنيه يا رسول الله ! قال : « قد أخذته بدرهم» – ممازحاً له – ، قال : لا ، إذن تغبنني يا رسول الله ! قال : « بدرهمين » ؟ قال : قلت : لا ، قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية ، قال فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : «قد أخذته» قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، قال : ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : «ما هذا» ؟ قالوا : يا رسول الله ! هذا جمل جاء به جابر ، قال : «فأين جابر»؟ قال : فدعيت له ، فقال : يا ابن أخي ! خذ برأس جملك فهو لك ، «ودعا بلالاً فقال له : اذهب بجابر فأعطه أوقية» ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فو الله ما زال ينمي عندي[1] .

انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، وبعث ﷺ من يبشر أهل المدينة بسلامة المسلمين . وقد غاب رسول الله ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة ، ورجعوا بحمد الله بعدما أعطوا قبائل الأعراب درساً عن قدرة المسلمين على مواجهة وتأديب أعدائهم في أي مكان .

ما يستفاد من الدرس :

١ – يقظة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم لما يدبره الأعداء من حولهم .

٢ – سرعة استجابة الصحابة لأوامر النبي ﷺ في خروجهم لبني محارب وبني ثعلبة .

٣ – مبدأ الحذر من الأعداء مبدأ إسلامي أمر الله به وطبقه النبي ﷺ في غزواته .

٤ – بيان عظمة الشريعة الإسلامية ومراعاتها حال المسلمين في وقت الحرب بتشريع صلاة الخوف .

٥ – حفظ الله تعالى نبيه محمداً ﷺ وعصمته من محاولات المشركين قتله .

٦ – بيان فضل عبّاد بن بشر رضي الله عنه وتعظيمه للقرآن وإقباله على مناجاة ربه تعالى .

٧ – تواضع النبي ﷺ وتفقده أحوال الصحابة وكرمه وجوده معهم .

(١) ينمي : من نمى المال زاد . وينظر/ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص ٥٦٦) . وينظر/ الروض الأنف (٦/ ٢٢٦) . وينظر/ في السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٢٥٠)

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – وقعت غزوة ذات الرقاع سنة :

(٤ هـ – ٦ هـ – ٨ هـ)

٢ – أُطلق على غزوة ذات الرقاع غزوة :

(العسرة – النفاق – الأعاجيب)

٣ – الصلاة التي شُرِعَت في غزوة ذات الرقاع صلاة :

(الكسوف – الخوف – الاستسقاء)

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – عدّد أسباب غزوة ذات الرقاع :

أ – .....

ب – .....

٢ – لم سميت غزوة ذات الرقاع بهذا الاسم ؟

● .....

٣ – سجل بقلمك معجزةً للنبي ﷺ حدثت في غزوة ذات الرقاع :

● .....

السؤال الثالث : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «لقطع نفسي قبل أن أقطعها أحب إلي من قطعها»

القائل : (.....)

٢-«من رجل يكلؤنا ليلتنا»

القائل : (.....)

٣- « يا رسول الله أبطأني جملي هذا»

القائل : (.....)

السؤال الرابع : تمم العبارات الآتية بما تراه مناسباً مما بين القوسين فيما يأتي :

(**عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه - **ثعلبة** - **قتل** - **الحذر** - **عمار بن ياسر** رضي الله عنه)

١- طبّق النبي ﷺ مبدأ ..... من الأعداء في كل غزواته .

٢- حاول المشركون ..... النبي ﷺ ولكن الله تعالى عصمه .

٣- من القبائل التي جمعت لمهاجمة المدينة بني محارب وبني .....

٤- تقاسم ..... مع عبّاد بن بشر رضي الله عنه الحراسة في غزوة ذات الرقاع .

السؤال الخامس : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- عرض عليه النبي ﷺ شراء جمله أثناء الرجوع من غزوة ذات الرقاع . (.....)

٢- رماه أحد المشركين بثلاثة أسهم وهو في صلاته ولم يقطعها . (.....)

٣- قال للنبي ﷺ أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك . (.....)

غزوة بني المصطلق (المريسيع)

تمهيد :

لم تتوقف محاولات الأعراب حول المدينة في تجهيز القوة ، وحشد الجموع لمهاجمة المدينة المنورة ، والسطو على ممتلكات المسلمين ، بعد مصاب المسلمين في غزوة أُحد ، وبالرغم من مواجهة النبي ﷺ والمسلمين لهذه المحاولات العدائية ضدهم ، إلا أن كثرة قبائل الأعراب وقوتها جعل محاولات هذه القبائل تتكرر كثيراً ، وتسعى لغزو المدينة ، وكان بنو المصطلق[١] من بين هذه القبائل التي فكرت في ذلك وبدأت تستعد بقوتها وتحشد جموعها لمهاجمة المدينة .

تاريخ غزوة بني المصطلق وأسبابها :

تعددت أقوال العلماء في تاريخ هذه الغزوة [٢] ، وذهب كثير من العلماء إلى أنها وقعت قبل غزوة الخندق ، وأنها كانت في شعبان سنة خمس من الهجرة .

ولقد تعددت أسباب غزو النبي ﷺ لبني المصطلق ، وكان من أهم هذه الأسباب :

١ – تأييد قبيلة بني المصطلق لقريش واشتراكها معها في معركة أُحد ضد المسلمين .

٢ – سيطرة بني المصطلق على الطريق الرئيس المؤدي إلى مكة .

٣– حشدُ بني المصطلق الجموع بقيادة الحارث بن ضرار لمهاجمة المسلمين في المدينة[٣] .

---

(١) بنو المصطلق : فرع من قبيلة خزاعة ، وهم بنو جذيمة بن سعد بن عمرو وقد أطلق على جزيمة هذا المصطلق ، والمُصْطَلِق : بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام . والمصطلق من الصلق وهو رفع الصوت . ينظر/ السيرة الحلبية (٢/ ٣٧٧) .

(٢) اختلف في زمن هذه الغزوة ، فقال ابن إسحاق : في شعبان سنة ست ، وبه جزم خليفة بن خياط والطبري ، وقال قتادة وعروة : كانت في شعبان سنة خمس ووقع في صحيح البخاري نقلاً عن ابن عقبة أنها كانت في سنة أربع ، وقال الحاكم في الإكليل : قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق ، قال الحافظ : ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك ، أي المذكور في الحوادث ، فلو كانت هذه الغزوة في شعبان سنة ست ، مع أن الإفك كان فيها ، لكان ما وقع في الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطاً ، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس على الصحيح ، كما سيأتي تقريره ، وإن كانت سنة أربع فهو أسد ، فظهر أن غزوة بني المصطلق كانت سنة خمس في شعبان ، فتكون وقعت قبل الخندق ، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس ، فتكون بعدها ، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ، ورمى بعد ذلك بسهم في الخندق ، ومات من جراحته بعد أن حكم في بني قريظة . ينظر/ دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٥) باختصار .

(٣) ينظر/ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ص ٥٧٢ .

أحداث غزوة بني المصطلق :

بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق ، جمع أعداداً من قومه ومن العرب لحرب المسلمين ، فأراد النبي ﷺ أن يتثبت من صحة الخبر فأرسل ﷺ بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، ليأتيه بالخبر اليقين .

فاستأذن بريدة رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن يقول ما يتخلص به من شرهم – أي يدعي عداوة النبي ﷺ والمسلمين – فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم ، فقالوا له : من الرجل ؟ قال : رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل – يقصد النبي ﷺ – فأسير في قومي ومن أطاعني ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، فقال له الحارث بن ضرار : فنحن على ذلك فعجل علينا ، قال بريدة رضي الله عنه : أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي ، فسُروا بذلك منه ، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم[1] ، وكان من هدي النبي ﷺ وحكمته أنه إذا علم أن قوماً يجمعون الجموع للإغارة عليه بادرهم قبل أن يبادروه ، فيشتت شملهم ، ويفرق جمعهم ، قبل أن يعظم خطرهم ، ويعجز المسلمون عن مواجهته ، وبالفعل بدأ النبي ﷺ في الإعداد لمفاجأة بني المصطلق .

خروج النبي ﷺ إلى بني المصطلق :

استخلف رسول الله ﷺ أبا ذر الغفاري رضي الله عنه على المدينة المنورة ، وحمل لواء المهاجرين أبو بكر الصديق وقيل عمار بن ياسر ، وحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وخرج إليهم رسول الله ﷺ في سبعمئة من أصحابه ، حتى التقى بهم عند ماء لهم يسمى «المريسيع» – ولذلك تسمى هذه الغزوة أيضاً بغزوة «المريسيع» – ولما وصل النبي ﷺ إليهم وانطلاقاً من حرصه على القيام بواجب تبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنادى فيهم أن قولوا : لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ، فَقُتل منهم عشرة ، وأُسِرَ سائرهم ، ولم يُقتل من المسلمين إلا هشام بن صبابة رضي الله عنه ، قتله أحد الأنصار خطأً ظناً أنه من الأعداء ، وقد غَنِمَ المسلمون في هذه الغزوة

(١) ينظر/ السيرة الحلبية (٢/ ٣٧٨) . وينظر/ خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٧٢١) .

غنائم كثيرة : ألفي بعير ، وخمسة آلاف شاة ، هذا عدا السبايا من النساء والأسارى من الرجال ، وكان شعار المسلمين يوم المريسيع (يا منصور : أمت أمت)[1] .

دور المنافقين في إثارة الفتن بين المسلمين في غزوة بني المصطلق :

لما رأى كثير من المنافقين الانتصارات المتتالية التي يحققها المسلمون بقيادة النبي ﷺ ، خرج عدد كبير منهم مع المسلمين في غزوة بني المصطلق ابتغاء الحصول على الغنيمة .

ولقد تسبب المنافقون في هذه الغزوة في أكثر من أزمة ، كادت كل واحدة منها أن تطيح بكيان الدولة الإسلامية ، وصدق الله تعالى إذ يقول في حق المنافقين :

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]

وكان هذا بالضبط ما حدث في غزوة بني المصطلق ، فقد تسبب المنافقون في فتن متتالية ، حتى التبس الأمر على مؤمنين صادقين بسبب أفعال المنافقين ، وكادوا يوقعونهم في الفتنة ، ومقاتلة بعضهم بعضاً ، لولا حكمة النبي ﷺ في معالجة الأمور[3] .

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة : محمد أبو شهبة (٢/ ٢٥٣) .
(٢) سورة التوبة : ٤٧ .
(٣) السيرة النبوية : راغب السرجاني (٢٩/ ١١) .

الفتنة التي أثارها المنافقون وكيف عالجها رسول الله ﷺ :

كان المسلمون يَرِدون ماء المريسيع ، وكان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجير يقال له : «جهجاه بن سعيد الغفاري» ، فازدحم على الماء مع أجير للأنصار يقال له «سنان بن وبرة الجهني» فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه وتنازعا ، فضرب جهجاه سناناً فسال الدم ، فنادى : يا للخزرج ! وثارت الرجال ، فهرب جهجاه وجعل ينادي في العسكر : يا لقريش ! يا لكنانة ! فأقبلت قريش وأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح حتى كادت تكون فتنة عظيمة ، فقام رجال في الصلح فترك سنان حقه[1] .

فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال : «ما بال دعوى الجاهلية ؟» قالوا : «يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار» ، فقال : « دعوها فإنها منتنة»[2] أي دعوا العصبية للقبيلة والقوم فإنها دعوى جاهلية خبيثة تفرق المسلمين ، وإلى هنا كان من الممكن أن تمر المشكلة وتنقضي ، ولكن ما كان لأهل النفاق أن يسكتوا دون أن يستغلوا الواقعة لإحداث فتنة عظيمة بين المهاجرين والأنصار .

غضب عبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين مع رهط من رجاله ، وكان في مجلسهم زيد بن أرقم رضي الله عنه ، ولم يكن منافقاً بل كان من المؤمنين الصادقين .

قال عبد الله بن أُبي بن سلول : أَوَقَد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب[3] قريش (أي المهاجرين) إلا كما قال الأول : سَمّن كلبك يأكلك [4] ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَن الأعز منها الأذل – ويقصد بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله ﷺ – ثم أقبل على من حضره من قومه ، فأخذ يثيرهم ضد المهاجرين قائلاً : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا

---

(١) إمتاع الأسماع (١/ ٢٠٧) .

(٢) مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع :إبراهيم بن إبراهيم قريبي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ص ١٣ .

(٣) جلابيب قريش : هو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون ، وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ ، واحدها جلباب وكانوا يلتحفون بها فلقبوهم بذلك .

(٤) هذا مثل من أمثال العرب ، وفي ضده تقول العرب «جوع كلبك يتبعك» .

إلى غير دوركم[1] ، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد ، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد ، فقال زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ، ومحمد ، في عز من الرحمن ومودة من المسلمين ، فلما خاف ابن سلول من افتضاح أمره ونفاقه قال لزيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اسكت إنما كنت ألعب[2] .

فمشى زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله ﷺ ، وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر ، وكان عند النبي ﷺ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال : دعني أضرب عنقه يا رسول الله . قال : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ؟ ! وأراد النبي ﷺ أن يصرف أصحابه عن التفكير في هذا الأمر الخطير والانسياق إلى الخلاف والشقاق فأذّن في الناس بالرحيل فارتحل الناس .

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي فأتاه فقال أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبد الله بن أُبي : والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك ، وإن زيداً لكاذب ، وكان عبد الله بن أُبي في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال ابن سلول فعذره النبي ﷺ ، وفشت الملامة في الأنصار لزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكذّبوه وقال له عمه وكان زيد معه : ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله ﷺ ، والناس مَقتوك ، وكان زيد يساير النبي ﷺ ، فاستحيى بعد ذلك أن يدنو من النبي ﷺ[3] .

حكمة النبي ﷺ في القضاء على الفتنة :

إن الفتن إذا عرضت للنفوس ، وتبادلتها الأقوال ، ورددتها الألسن يكثر القول الذي يلهبها ، ومن ثم يكون من الحكمة إشغال الناس عن ترديدها ، فكان الأمر بالرحيل شغلاً للناس عنها .

---

(١) الروض الأنف (٦/ ٤٠١) .

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين : ص ٢٩٩ . وينظر/ المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي : محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري (١/ ١٤٢) .

(٣) ينظر/ المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/ ١٤٣) .

لقد أمر النبي ﷺ الناس بالرحيل قبل ميقاته ، حتى لقد قال أسيد بن حضير رضي الله عنه للنبي ﷺ : يا نبي الله لقد رحت في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها .

قال رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قاله صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله؟ قال : عبد الله بن أُبي بن سلول ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه إن شئت وهو الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فو الله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبت منه ملكاً .

مشى رسول الله ﷺ حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصار في صدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ، ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس .

وبمجرد أن مست جنوبهم الأرض حتى ناموا . ولم يتذاكروا ما حدث من خلاف من شدة التعب ، فشغلهم التعب الجسمي عن القلق النفسي ، فانطفأت نار هذه الفتنة [1] .

هذا وقد أنزل الله تعالى في ذلك آيات من سورة (المنافقون)

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

إلى قوله تعالى :

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [2] .

وبذلك ندرك كيف عالج رسول الله ﷺ الفتنة التي أراد المنافقون إثارتها بين صفوف المسلمين وقد تمثل العلاج في الآتي :

---

(١) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٧٢٣) .

(٢) سورة المنافقون : ١ – ٨ .

١- إظهار النبي ﷺ الكراهية لما حدث من إثارة الفتنة .

٢- بيان أن دعوى العصبية إنما هي من أمور الجاهلية الخبيثة .

٣- ترك معاقبة مثيري الفتنة وعلى رأسهم ابن سلول حتى لا ينتفض أتباعه عصبيةً له .

٤- إرهاق النبي ﷺ الصحابة بالمشي وإشغالهم بالمجهود الجسمي حتى يتناسوا ما حدث من خلافات .

زواج النبي ﷺ من السيدة (جويرية بنت الحارث) رضي الله عنها :

قتل المسلمون عدداً من بنى المصطلق ، وساقوا الباقين أسرى وسبايا ، وكانت السيدة جويرية بنت الحارث - بنت سيد قومها - ضمن السبايا ، وقد دفعها النبي ﷺ إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن ضرار لفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي ﷺ ، وقال : « يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها » فقال رسول الله ﷺ : « فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا » فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فو الله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى .

أسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فأتوا بهما إلى الرسول ﷺ ، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها .

وكان بنو المصطلق من أعز العرب داراً وأشرفهم نسباً ، وأُسِر نسائهم على هذه الحال مما يترك في نفوسهم ونفوس حلفائهم جراحاً لا تندمل ، وحزازات لا تنسى ، والعربي يهون عليه المال مهما غلا ، ولكن لا يهون عليه عرضه ، أو تخدش كرامته وشرفه ، لذلك لم يرتح قلب النبي ﷺ لما تم من سبي واسترقاق ، ومن ثم رأى أن يقوم بهذا التصرف الحكيم[1] . وهو أن يخطب السيدة

(١) ينظر/ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٢٥٣) بتصرف .

جويرية بنت الحارث من أبيها ، وبالفعل خطبها رسول الله ﷺ من أبيها ، فزوّجه إياها رضي الله عنها ، وأصدقها أربعمئة درهم ، كان الهدف من الزواج واضحاً ، فالرسول ﷺ أراد بهذا الزواج أن يتألف قلوب بني المصطلق ، وقد ترتب على زواج النبي ﷺ من السيدة جويرية رضي الله عنها عتق قومها جميعاً وإسلامهم . لأن الصحابة رضي الله عنهم كرهوا أن يسترقّوا أصهار رسول الله ﷺ إكراماً له ﷺ ، وقالوا : أنسترقّ أصهار رسول الله ﷺ ؟ ![1] ، فكانت أعظم النساء بركة على قومها ، وأسلم قومها ودخلوا ظلال الإسلام المباركة ، وكان نصراً عزيزاً للإسلام .

قالت عائشة رضي الله عنها : فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها .

وبفضل هذا التصرف النبوي الحكيم أسلم بنو المصطلق عن طواعية جميعاً ، وصاروا أعواناً للمسلمين بعد أن كانوا أعداءً لهم [2] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – تكرار محاولات قبائل الأعراب مهاجمة المدينة المنورة والسطو على ممتلكات المسلمين .

٢ – حرص النبي ﷺ على التأكد من صدق الأخبار التي تأتيه قبل أن يهاجم الأعداء .

٣ – ضرورة القيام بواجب الدعوة إلى الله قبل مهاجمة الأعداء .

٤ – وجوب الحذر من أهل النفاق والانتباه لمخططاتهم لتفريق شمل المسلمين .

٥ – بيان حكمة النبي ﷺ وذكائه في إحباط مؤامرات الأعداء : المنافقين والمشركين .

٦ – زواج النبي ﷺ من السيدة جويرية رضي الله عنها كان لهدف تأليف قلوب قومها للإسلام .

٧– إسلام بني المصطلق وتحولهم إلى مناصرة الإسلام بعد عداوتهم له .

(١) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٧٢٥ ، ٧٢٦) . وينظر/ السيرة النبوية : راغب السرجاني (٢٩/ ١٠) .
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٢٥٤) .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – تسمى غزوة بني المصطلق بغزوة :

(الأحزاب – العسرة – المريسيع)

٢ – سيد بني المصطلق هو :

(حُيي بن أخطب – الحارث بن ضرار – عمرو بن هشام)

٣ – تزوج النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق بـ :

(جويرية بنت الحارث – أم سلمة – حفصة)

٤ – استخلف النبي ﷺ على المدينة في غزوة بني المصطلق :

(أبا ذر – أبا لبابة – أبا دجانة)

السؤال الثاني : (أ) أجب عما يأتي :

١ – ما شعار المسلمين يوم غزوة بني المصطلق ؟

• .....

٢ – لماذا كان النبي ﷺ يبادر الأعداء بالهجوم قبل أن يهاجموه ؟

• .....

(ب) علّل ما يأتي :

خروج عدد كبير من المنافقين مع النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق .

• .....

السؤال الثالث : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «دعوها فإنها منتنة»

القائل : (.....)

٢-«سمّن كلبك يأكلك»

القائل : (.....)

٣- «يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها»

القائل : (.....)

السؤال الرابع : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	أراد عبدالله بن أُبي		سبعمئة من أصحابه
٢	خرج النبي ﷺ إلى بني المصطلق ومعه		مع المشركين في غزوة أُحد ضد المسلمين
٣	غنم المسلمون من بني المصطلق		إحداث فتنة بين المهاجرين والأنصار
٤	من أسباب غزوة بني المصطلق اشتراكهم		ألفي بعير وخمسة آلاف شاة

السؤال الخامس : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- أرسله النبي ﷺ ليأتي بخبر بني المصطلق قبل الذهاب إليهم (.....)

٢- قتله أحد الأنصار خطأً ظنًا أنه من الأعداء (.....)

الوحدة الرابعة

١ – حادثة الإفك .

٢ – غزوة الخندق (الأحزاب) (١) .

٣ – غزوة الخندق (الأحزاب) (٢) .

٤ – غزوة بني قريظة .

٥ – زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وإبطال عادة التبني .

حادثة الإفك

تمهيد :

ذكرنا أن الكثير من المنافقين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة «بني المصطلق» ابتغاء الغنيمة ، وقد أرادوا أن يحدثوا فتنة بين المسلمين ، من خلال إثارة العصبيات الجاهلية ، ولكن النبي ﷺ بحكمته استطاع أن يقضي على الفتنة في مهدها ، ويفسد سعي المنافقين .ولكن هل توقف سعي المنافقين عن إحداث الفتن في المجتمع الإسلامي ؟ لا ، بل لقد أثاروا شائعة خبيثة ، كانت أخطر على الإسلام من الفتنة السابقة ، ذلك أنها تتناول عرض النبي الكريم ﷺ وآل بيته الطاهرين ، لقد أثار المنافقون في هذه الحادثة دعاية كاذبة حول أحب زوجات النبي ﷺ إلى قلبه : الصدّيقة ابنة الصدّيق ، السيدة عائشة رضي الله عنها .

وإليك تفصيل حادثة الإفك [1] .

عدل النبي ﷺ بين زوجاته عند الخروج للغزو أو السفر :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر أو غزو أقرع بين زوجاته ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، فأقرع بينهن في غزوة بني المصطلق ، فخرجت القرعة للسيدة عائشة رضي الله عنها ، فخرجت مع رسول الله ﷺ ، وظلت معه حتى فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل راجعاً ، فلما دنوا من المدينة آذن النبي ﷺ ليلة بالرحيل .

تخلف السيدة عائشة رضي الله عنها عن الجيش بحثاً عن عقدها :

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها ، فلمست صدرها فإذا عقد لها قد انقطع ، فرجعت تلتمس عقدها ، فحبسها

(١) الإفك : الزور والكذب ، وقيل الإفك : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، وقيل هو البهتان .

طلب العقد ، فأقبل الرجال الذين كانوا يحتملون هودجها فاحتملوا الهودج [١] ظانين أنها فيه ، لأن النساء كن إذ ذاك خفافاً ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج ، وكانت عائشة ﵂ جارية حديثة السن ، فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدها ، وليس بالمنزل داع ولا مجيب ، فغلبتها عيناها فنامت ، وكان النبي ﷺ يجعل صفوان بن المعطل ﵁ يسير خلف الجيش ، ويتفقد أشياء الناس من اللقطة والمنسي ، ويبلغهما إلى أصحابهما ، فأصبح عند منزلها فعرفها ، فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه[٢] ، وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته ، وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش ، وهو نازل للراحة [٣] .

المنافقون يثيرون إشاعة خبيثة حول أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂ :

إلى هنا – كما رأينا – لم يحدث شيء يثير الريبة والشك ، وخاصةً أنها الشريفة الطاهرة الصدّيقة ابنة الصدّيق ﵁ وعن أبيها ، وأن صفوان بن المعطل من خيرة الصحابة الكرام ﵃ .

ويروى أنه لما بلغه قول أصحاب الإفك فيه قال : سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط[٤] –أي بزنى– ، وينبغي أن نعلم أن الله تعالى قد صان أنبياءه ﵈ أن تقع من زوجاتهم خيانة زوجية تتعلق بالعِرْض ، وذلك لأن زنا الزوجة مما يمتد أثره السيئ إلى الزوج ، فصان الله زوجاتهم عن ذلك حتى لا يكون منفراً منهم ، ومعوقاً عن الاهتداء بهم ، ولكن ما كان المنافقون ليتركوا الحادثة تمر دون التدخل بمكرهم وكيدهم ضد الإسلام ، والذي تولى معظم الخوض في هذا الحديث الكاذب ، وحرّض على إشاعته عبد الله بن أُبي بن سلول ، رأس المنافقين وزعيمهم ، فهو الذي قاد حملته ، واضطلع بالنصيب الأكبر لإشاعته .

رُوِيَ أنه لما جاء صفوان بن المعطل ﵁ يقود راحلته وعليها عائشة ﵂ قال عبد الله بن أُبي لمن حوله : من هذه ؟ قالوا عائشة فقال– لعنه الله– : امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم

---

(١) الهودج : محمل له قبة تستر بالثياب يوضع على ظهر البعير تركب فيه النساء .
(٢) أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : ص ١٤١ .
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تفسير ابن عطية (٤/ ١٦٨) .

جاء يقودها ، والله ما نجت منه وما نجا منها [١] ، وبذلك بدأ أهل الكذب يتهمون السيدة عائشة رضي الله عنها مع الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله عنه ، ومما يؤسف له أن بعض المسلمين قد انساقوا وراء ابن سلول ورددوا قوله وكان منهم : مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم .

مرض السيدة عائشة رضي الله عنها وعدم معرفتها بالخبر أول الأمر :

لما قَدِم النبي ﷺ والمسلمون المدينة ، مرضت السيدة عائشة رضي الله عنها شهراً – وكانت لا تعلم بقول أصحاب الإفك – وكانت تعرف في رسول الله ﷺ رقةً إذا مرضت ، فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يَريبُني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ ، فيُسلّم ، ثم يقول : كيف تيكم ، ثم ينصرف فذلك الذي يريبني ، ولا أشعر بالشر [٢] .

فلما برئت من مرضها خرجت هي وأم مسطح بن أثاثة – أحد الذين تحدثوا بحديث أهل الإفك – لقضاء حاجتها ، فعثرت أم مسطح في مرطها [٣] فقالت : تعس مسطح ! فقالت عائشة رضي الله عنها : بئس ما قلت ! ! ! أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت : يا هنتاه [٤] أولم تسمعي ما قالوا ؟ فسألتها عائشة رضي الله عنها عن ذلك فأخبرتها الخبر ، فازدادت مرضاً على مرضها ، ولما جاءها النبي ﷺ كعادته ، استأذنته أن تمرض في بيت أبيها ، فأَذِن لها ، فلما ذهبت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى بيت أهلها سألت أمها عما يقول الناس ، فقالت : يا بنية هوني عليك ، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة [٥] عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها . فقالت عائشة : سبحان الله ! أو قد تحدّث الناس بهذا ؟ ! وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم [٦] .

---

(١) التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي (١٠/ ٩٤) ، ط ١ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة .
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٦٧) .
(٣) واحد المروط وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها .
(٤) يا هنتاه (هذه الكلمة تختص بالنداء ومعناها يا هذه ، وقيل : يا امرأة) .
(٥) حسنة جميلة .
(٦) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : ص ١٤٢ .

النبي ﷺ يستشير الصحابة ويعرض الأمر على المنبر :

وفي خلال ذلك كان النبي ﷺ يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل ، فقال له أسامة بن زيد رضي الله عنه لما يعلمه من براءة عائشة : أهلك أهلك ولا نعلم عليهم إلا خيراً ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك . فدعا النبي ﷺ «بريرة» جارية عائشة وقال لها : هل رأيت من شيء يريبك ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه[١] غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها ، فتأتي الداجن[٢] فتأكله .

وكان رسول الله ﷺ يسأل زوجاته كذلك عن السيدة عائشة ، قالت عائشة رضي الله عنها : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش رضي الله عنها[٣] عن أمري ، فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمي[٤] سمعي وبصري ، وما علمت إلا خيرًا ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني[٥] من أزواج رسول الله ﷺ ، فعصمها الله بالورع .[٦]

أثر حادثة الإفك على أصحاب رسول الله ﷺ :

كثر الكلام في ترديد شائعة أهل الإفك ، وكلما سأل النبي ﷺ أحداً من أصحابه عن السيدة عائشة رضي الله عنها إلا وجاءه الجواب ببراءتها وطهارتها عن مثل هذه المعاصي ، فقام النبي ﷺ وصعد المنبر ، والمسلمون مجتمعون ، وقال : من يعذرني[٧] من رجل بلغني أذاه في أهلي ، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل على أهلي إلا معي – يقصد صفوان بن معطل رضي الله عنه – فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه : أنا يا رسول الله أعذرك منه ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أنه يُقتل ، فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه ، وقال لسعد بن عبادة رضي الله عنه : كذبت لعمر

---

(١) أعيبه عليها .
(٢) هي الشاة التي تألف في البيوت ولا تخرج إلى المرعى .
(٣) هي زينب بنت جحش زوجة النبي ﷺ وأم المؤمنين رضي الله عنها .
(٤) أحمي سمعي وبصري : أي أمنعهما من العذاب بسبب الكذب .
(٥) تساميني : أي تعاليني وتفاخرني ، أي تطاولني عنده ﷺ .
(٦) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٨٥ .
(٧) أي ينصرني إن جازيته على سوء صنيعه .

الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول الله ﷺ نزل من فوق المنبر ، وخفضهم حتى سكتوا ، أما عائشة رضي الله عنها فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم[1] .

النبي ﷺ يواجه السيدة عائشة رضي الله عنها ويعرض عليها الأمر :

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي ، قالت : فبينما هما جالسان عندي – تقصد أبويها – وأنا أبكي إذ استأذنت امرأةٌ من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء ، قالت : فتشهّد ثم قال : أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف وتاب تاب الله عليه ، فتقلص[2] دمع عائشة رضي الله عنها ، وقالت لأبويها : أجيبا رسول الله ﷺ ، فقالا : والله ما ندري ما نقول ، فقالت : إني والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدّقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة لتُصدِّقُنّي ، فو الله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حيث قال :

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]

ثم تحولت واضطجعت على فراشها[4] .

الله تعالى يبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها من حديث الإفك :

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : «والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : ص ١٤٢ .
(٢) أي بمعنى جف من شدة الحزن .
(٣) سورة يوسف : ١٨ .
(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : ص ١٤٣ .

النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فو الله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[١] ، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان[٢] من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل الوحي الذي ينزل عليه ، فلما سُرِّي[٣] عن رسول الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها :

«يا عائشة أما الله عز وجل فقد برّأك»

و نزلت على رسول الله ﷺ في شأنها آيات من سورة النور :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (٤)

إلى آخر الآيات التي تناولت الحادثة من سورة النور ، فسري عن رسول ﷺ وهو يضحك ، وبشّر عائشة رضي الله عنها بالبراءة ، فقالت لها أمها : قومي فاشكري رسول الله ، فقالت : لا والله ، لا أشكر إلا الله الذي برّأني ، وبعد ذلك أمر رسول الله ﷺ بأن يجلد من صرّح بالإفك ثمانين جلدة وهي حد القاذف ، وكان من بينهم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة .

أما عبدالله بن أُبي بن سلول فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه لم يُجلد ، وذكروا في تعليل ذلك أمرين :

١- إما أنه تُرك ليلقى الله بذنبه كاملاً فلا يطهر منه بإقامة الحد .

---

(١) البرحاء : شدة الكرب من ثقل الوحي .

(٢) الجمان : اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ .

(٣) سري : انكشف عنه ما يجده من الهم والثقل .

(٤) سورة النور : ١١ - ١٥ .

٢- وإما لأنه كان يشير بحديث الإفك من طرفٍ خفي غير مصرح باتهام عائشة ﵂ كي لا تثبت عليه .

وكان أبو بكر ﵁ ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه ، فلما تكلم بالإفك قطع عنه النفقة[١] ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢]

فقال أبو بكر ﵁ : بل نحب ذلك يا رسول الله ، وأعاد النفقة على مسطح بن أثاثة ﵂[٣] .

ما يستفاد من الدرس :

١ - حرص المنافقين على إحداث الفتن والاضطرابات التي تفسد العلاقات بين المجتمع الإسلامي .

٢ - عدل النبي ﷺ بين نسائه وذلك من خلال اقتراعه بين زوجاته عند خروجه للغزو أو السفر .

٣ - محاولة المنافقين تشويه سمعة النبي ﷺ والطعن في عرضه من خلال إشاعة حديث الإفك .

٤ - إجماع من استشارهم النبي ﷺ من الصحابة أو من نسائه على براءة السيدة عائشة ﵂ وثناؤهم عليها .

٥ - تنزل القرآن ببراءة السيدة عائشة ﵂ مما رماها به أهل الإفك والنفاق .

٦ - معاقبة الذين خاضوا في عرض السيدة عائشة ﵂ بإقامة حد القذف عليهم .

٧- عفو أبي بكر ﵁ عن مسطح بن أثاثة وعودته في النفقة عليه حباً في مغفرة الله تعالى .

٨- حديث الإفك قضية كل زمان ، وعلى المسلمين توخي الحذر بعدم الخوض في الأعراض .

---

(١) ولا يحلف .

(٢) سورة النور : ٢٢ .

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين : ص ١٤٤ .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١ – نزلت الآيات ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها في سورة المؤمنون . ( )

٢ – كانت السيدة عائشة رضي الله عنها لا تتوقع نزول آيات قرآنية ببراءتها . ( )

٣ – الذي تزعم نشر حديث الإفك حول السيدة عائشة عبدالله بن أُبي بن سلول . ( )

٤ – خرج المنافقون مع النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق ابتغاء الأجر والثواب . ( )

السؤال الثاني : سجل بقلمك اثنين من الدروس المستفادة من حادثة الإفك :

١ – .....

٢ – .....

السؤال الثالث : أجب عما يأتي :

١ – ما المهمة التي كان يقوم بها صفوان بن المعطل رضي الله عنه خلف الجيش في غزوة بني المصطلق؟

- .....

٢ – فيمن نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؟

- .....

٣ – ماذا فعل النبي ﷺ مع أصحاب الإفك بعد نزول الآيات ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها ؟

• .....

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١– «أهلك أهلك ولا نعلم عليهم إلا خيراً »

القائل : (.....)

٢– «سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط»

القائل : (.....)

٣– «يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، وما علمت إلا خيراً»

القائل : (.....)

٤ – «فو الله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف»

القائل : (.....)

السؤال الخامس : صوّب ما تحته خط فيما يأتي :

١ – التي اتهمت بحديث الإفك من زوجات النبي ﷺ السيدة صفية . (.....)

٢ – أثار المنافقون شائعة الإفك عند عودة المسلمين من غزوة أحد . (.....)

٣– مكث رسول الله ﷺ عاماً لم يتنزل عليه قرآن في شأن براءة السيدة عائشة . (.....)

السؤال السادس : بغض الكذب قيمة تربوية مستفادة من الـدرس . . . . اكتب مظهرين سلوكيين لها :

١– .....

٢– .....

غزوة الخندق «الأحزاب» (١)

تمهيد :

استطاع المسلمون بفضل الله أولاً ثم بفضل القيادة الحكيمة للنبي ﷺ أن يتغلبوا على كل المعوقات التي اعترضتهم ، والمصائب التي نزلت بهم بعد غزوة أُحد ، وتمكنوا من تأديب كل من فكّر في مهاجمتهم أو الاعتداء عليهم من اليهود أو الأعراب المنتشرين حول المدينة ، بل لقد وصلت قوة المسلمين في الجزيرة العربية لدرجة أن قريشاً بنفسها خافت مواجهتهم وحدها في اللقاء الذي كان قد هدد به أبو سفيان المسلمين بعد غزوة أُحد ، حيث إنه كان قد هدد المسلمين بأنه سوف يأتيهم العام القادم في بدر مرة ثانية ، وبعد أن جمع جموعه وخرج للإتيان إلى بدر ، خاف وتعلل بأن العام جدب وجوع ولنرجع ونأتي لحرب المسلمين في عام آخر ، وكان النبي ﷺ قد خرج للقاء المشركين حسب موعد أبي سفيان حتى وصلوا بدراً – وهي ما سميت بغزوة (بدر الموعد) وكانت في ذي القعدة سنة ٤ هجرية ، وأقام النبي ﷺ والمسلمون ببدر ثمانية أيام ، منتظرين جيش المشركين ، ولكنهم لم يحضروا ، ورجع النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بدون قتال ، فزاد ذلك من ارتفاع معنويات المسلمين ، وزاد من خوف القبائل العربية من قوة المسلمين .

تاريخ «غزوة الخندق» وأسبابها :

أمام هذا التواجد الإسلامي القوي في الجزيرة العربية ، كان الحقد يملأ قلوب اليهود ، وخاصةً زعماء بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ ، وكانوا يسعون للانتقام ولكنهم لا يقدرون ، ومن ثم بدأوا يتحركون تجاه قريش والقبائل العربية ؛ كي يحرّضونهم على قتال المسلمين ، وأخذوا يَعِدون المشركين بالنصرة ، ويغرونهم بقدر من ثمار خيبر ، وقد ترتب على هذا التحرك اليهودي خروج المشركين لمهاجمة المدينة في غزوة الخندق ، وكانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة .

أسباب «غزوة الخندق» :

١ – سعي زعماء بني النضير للانتقام من النبي ﷺ والمسلمين بعد طردهم من المدينة .

٢ – محاولة قريش استعادة مكانتها بين العرب بعد رجوعهم مع أبي سفيان وخوفهم من ملاقاة المسلمين في (بدر الموعد) التي هددوا بها المسلمين بعد غزوة أُحد .

٣ – تطلّع بعض القبائل العربية مثل غطفان لنيل ثمار خيبر لمدة عام كامل كما وعدهم اليهود .

أحداث الغزوة :

خرج وفد اليهود يقودهم : حُيي بن أخطب – زعيم بني النضير – ، وسلام بن مشكم ، حتى أتوا مشركي قريش وقالوا لهم : إنا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله . فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلاً ، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد .

وجاء في رواية أخرى أن أبا سفيان قال لهم : لكن لا نأمنكم إلا أن تسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا ، فقالت قريش لأولئك اليهود : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دين محمد؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه[1] ، وفعلاً خرجت معهم قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة – وقائدهم أبو سفيان ، وبنو سليم و قبائل غطفان وهم : (بنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو أشجع ، و بنو أسد) ، وغيرها من القبائل المشركة .

واتجهت هذه الأحزاب ، نحو المدينة بجيش كبير يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ .

يقظة القيادة المسلمة وحرصها على تطبيق مبدأ الشورى :

كانت القيادة المسلمة – متمثلةً في شخص النبي ﷺ – متيقظة ، حريصة على تتبع الأحداث ، حتى تتمكن من إعداد خططها وتجهيز سلاحها ، فلم تكد تتحرك هذه الجيوش من مواضعها

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٤١٥) .

حتى عَلِمَ النبي ﷺ بخبرها ، ومن ثم سارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري لكبار الصحابة ، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن المدينة ، وبعد مناقشات جرت بين النبي ﷺ وأهل الشورى ، اتفقوا على قرار قدّمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال سلمان رضي الله عنه : يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا [1] وكانت العرب لا تعرف هذا الأسلوب قبل ذلك ، فَأُعجِب الرسول ﷺ بهذا الرأي ، وانطلق ﷺ في نفر من أصحابه لاختيار المكان المناسب للحفر .

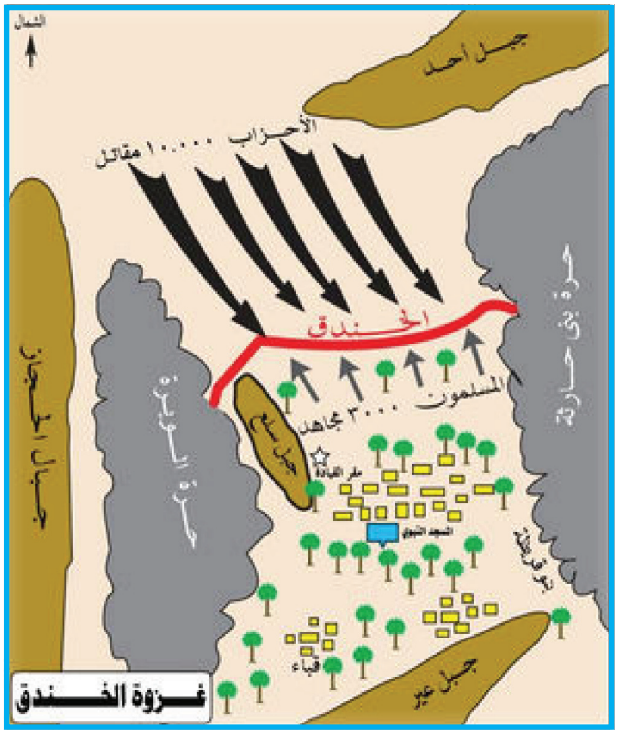

والمعروف أن المدينة المنورة محاطة بالحرار- جمع حرة - من ثلاث جهات ، ومشبكة بالبنيان والنخيل ، لا يستطيع جيش كبير دخولها والقتال في مساحات واسعة إلا من جهة واحدة هي الجهة الشمالية الغربية ، فخط النبي ﷺ الخندق في تلك الجهة ، من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية .

من مظاهر حكمة النبي ﷺ وعبقريته القيادية والحربية :

أولاً : اهتمام النبي ﷺ بالجبهة الداخلية :

لما أراد النبي ﷺ الخروج إلى الخندق ، أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة ، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء ، وقد فعل ذلك ﷺ لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين ؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب ، يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية لمهامه القتالية ، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ، ومعنوياته تضعف ويستولي عليه القلق [2] .

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ١٨) .
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٩٥ .

ثانياً : اختيار النبي ﷺ المكان المناسب لحفر الخندق :

فقد تم اختيار منطقة الحفر من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية ؛ وذلك لأن هذه الجهة هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء ، والتي يمكن أن يهجموا منها على المدينة ، كما قسّم النبي ﷺ أعمال حفر الخندق بين الصحابة ، كل أربعين ذراعًا لعشرة من الصحابة .

ثالثاً : مشاركةُ النبي ﷺ أصحابَه رضي الله عنهم أعباء حفر الخندق :

لما أخذ النبي ﷺ برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه ، لم يكن بمعزل عن التعب في تنفيذ حفر الخندق ، بل كان مشاركاً للصحابة رضي الله عنهم ، وكانت هذه المشاركة من الأمور التي ساهمت في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية ، فالنبي ﷺ يشارك جنده أعباء العمل الشاق ، فعن البراء رضي الله عنه قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه[1] .

رابعاً : النبي ﷺ ينشط الصحابة رضي الله عنهم ويرفع معنوياتهم في أوقات العمل العصيبة :

حرص النبي ﷺ على رفع معنويات الجنود ، وإدخال السرور عليهم ، فقد اقترن حفر الخندق بصعوبات جمة ، فقد كان الجو باردًا ، والريح شديدة ، والحالة المعيشية صعبة ، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدو ، وفي هذه الظروف لم ينس النبي ﷺ أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم ، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل ، كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور عليها ، حتى تتغلب على الآلام والشدائد ، ولهذا كان النبي ﷺ يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وهو ينقل التراب ويقول :

الله لولا الله ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعادي قد بغوا علينا	وإن أرادوا فتنة أبينا[2]

(١) الرحيق المختوم : ص ٢٧٨ .
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٩٦ .

وعن أنس رضي الله عنه أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الإسلام ما بقينا أبدًا

أو قال على الجهاد والنبي ﷺ يقول : اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ولا شك أن لهذا التبسط والمرح في ذلك الوقت أثره في التخفيف عن الصحابة رضي الله عنهم مما يعانونه ، وله كذلك أعظم الأثر في بعث الهمة والنشاط ، لإنجاز العمل الذي كُلّفوا بإتمامه على أكمل وجه .

خامساً : تقدير النبي ﷺ ظروف الجند والإذن لهم بالانصراف عند الحاجة :

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبي ﷺ فكانوا يستأذنونه في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة ، فيذهبون لقضاء حوائجهم ، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل ، رغبةً في الخير[1] .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[2]

سادساً : الحس الأمني عند النبي ﷺ وإعداد دوريات للحراسة :

في هذه الظروف العصيبة لم يهمل النبي ﷺ الجانب الأمني ، والأخذ بأسباب الحذر ، ومن ثم قسّم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم إلى مجموعات للحراسة ، لمقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق ، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة الخندق وحراسة نبيهم ﷺ ، واستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنّه ، وكانت هناك مجموعة من الأنصار تقوم بحراسة النبي ﷺ في كل ليلة على رأسهم عبّاد بن بشر رضي الله عنه[3] .

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٩٧ .
(٢) سورة النور : ٦٢ .
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٥٩٧ .

حال المنافقين أثناء حفر الخندق :

كان على أهل المدينة أجمعين أن يشتركوا في حفر الخندق ، لأن العدو إذا غلب لن يُفرّق بين أحد منهم ولكن المنافقين كانوا يستأذنون في التخلف ، ويتعللون بالضعف - وهو في الحقيقة ضعف إيمان لا ضعف أجساد - ومنهم من استجابوا وخرجوا للحفر ، ولكنهم عند اشتداد الأزمة ، أخذوا يتسللون تاركين أماكنهم ، لأنهم لا يريدون أن يشتركوا في نصرة محمد ﷺ ، حتى ولو خربت المدينة التي تؤويهم بأيدي المشركين ، قال تعالى :

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [1] .

ولقد كانت خطورة الطائفة التي خرجت مع المسلمين متظاهرة بالمساعدة في الحفر ، أشد خطراً من التي اعتذرت ابتداءً ، لأنها أخذت تثبط الهمم ، وتضعف العزائم ، وتخوف المسلمين من نتائج الحرب والمواجهة ، وتبثّ الخوف والرعب في قلوب من يمكن أن تخور عزائمهم من ضعاف الإيمان [2] .

من معجزات النبي ﷺ أثناء حفر الخندق :

١ - إطلاع الله تعالى نبيه ﷺ في وقت الشدة على فتح البلدان الكبرى :

أراد الله تعالى بحكمته أن يظهر لرسوله ﷺ في أوقات الشدة من الأمور الغيبية ما يبعث الأمل والثقة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم ، ويجعلهم يزدادون يقيناً على يقينهم ، وكان من هذه الأمور ما ذكره البراء بن عازب رضي الله عنه قال : عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، قال : فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ ، قال : فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله ،

(١) سورة النور : ٦٣ .
(٢) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٦٨٤) .

وضرب ضربة ، فكسر ثلثها ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية ، فقطع ثلثاً آخر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة ، فقال : بسم الله ، فقطع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة [1] ، ولا شك أن لهذا الإخبار الغيبي الذي أطلع الله تعالى عليه نبيه ﷺ أعظم الأثر في بث الثقة في نفوس الصحابة ، وتيقنهم في نصر الله تعالى على هذه الأحزاب المشركة مهما كثرت أعدادها وعظمت قوتها .

٢ – البركة في الطعام القليل حتى يكفي أهل الخندق جميعاً :

اقترن حفر الخندق بمشقة شديدة – غير مشقة الحفر – ألا وهي مشقة الجوع ، وذلك للبعد عن ديارهم وسط المدينة ، ولانقطاع المؤمنين عن العمل للرزق بالانصراف للحفر ، غير مدخرين أي جهد لغيره ، وفي ظل هذه المشقات يؤيد الله تعالى نبيه ﷺ بمعجزة أخرى تكون بمثابة عامل تثبيت آخر ، ألا وهي مباركة الله تعالى في الطعام القليل حتى يكفي الأعداد الكثيرة من الناس ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، فكانت عندي شويهة ، غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ ؛ قال : فأمرت امرأتي ، فطحنت لنا شيئًا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزًا ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله ﷺ ، قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق – قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا – قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شويهةً كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم ، ثم أمر صارخًا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال : فبرّك وسمى (الله) ،

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٢١) .

ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها[1] ولم يكن هذا الموقف هو الوحيد في ذلك بل تكرر أكثر من مرة ، وكان ذلك تأييداً وتثبيتاً من الله تعالى لعباده المؤمنين[2] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – حقد اليهود ضد الإسلام والمسلمين حقيقة مستقرة عبر الأزمان .

٢ – الانتباه لمخططات الأعداء والأخذ بأسباب الحذر أمر واجب على قادة الأمة الإسلامية .

٣ – تطبيق مبدأ الشورى والأخذ بما ترتب عليه واجب ينبغي عدم التقصير فيه .

٤ – الأخذ بالأساليب العصرية في مواجهة الأعداء من الأمور المحمودة شرعاً .

٥ – تعدد مظاهر حكمة النبي ﷺ وعبقريته القيادية والحربية في غزوة الخندق .

٦ – ضرورة الحذر من المنافقين وسعيهم لبث روح الخوف والانهزامية بين صفوف الأمة .

٧ – ظهور بعض المعجزات على يد النبي ﷺ في غزوة الخندق لتثبيت المؤمنين وتقوية يقينهم .

(١) الروض الأنف (٦/ ٢٦٦) . وينظر/ خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٦٨٨) .
(٢) الروض الأنف (٦/ ٢٦٦) .

التقويم

السؤال الأول : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ – وقعت غزوة الأحزاب في شوال سنة :

(٧ هـ – ٥ هـ – ٩ هـ)

٢ – عدد المسلمين في غزوة الخندق :

(سبعة آلاف – خمسة آلاف – ثلاثة آلاف)

٣ – عدد الأحزاب الذين تجمعوا لقتال المسلمين :

(عشرة آلاف – ثمانية آلاف – أربعة آلاف)

٤ – الذي أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق :

(صهيب الرومي – سلمان الفارسي – بلال الحبشي)

السؤال الثاني : علل ما يأتي :

١ – مجيء زعماء بني النضير إلى مشركي مكة وغطفان وقبائل العرب :

- .....

٢ – أمر النبي ﷺ بوضع ذراري المسلمين في حصن بني حارثة :

- .....

٣– اختيار مكان حفر الخندق من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية :

- .....

السؤال الثالث : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(بدر الموعد – مؤتة – الحر الشديد – حقيقة مستقرة – البرد الشديد – الجبهة الداخلية)

١ – حقد اليهود ضد الإسلام والمسلمين ..... عبر الأزمان .

٢ – خاف المشركون من ملاقاة المسلمين في غزوة . . . . . بعد غزوة أُحد .

٣ – كانت مشاركة النبي ﷺ في حفر الخندق عاملاً من عوامل تماسك .....

٤ – تعددت الصعوبات التي واجهت الصحابة في غزوة الخندق وكان منها .....

السؤال الرابع : سجل بقلمك سببين من أسباب غزوة الخندق :

١ – .....

.....

٢ – .....

.....

السؤال الخامس : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ – «إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»

القائل : (.....)

٢ – «اللهم إن الخير خير الآخرة»

القائل : (.....)

٣ – «يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شويهةً كانت عندنا »

القائل : (.....)

٤ – «مرحباً وأهلاً وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد»

القائل : (.....)

غزوة الخندق «الأحزاب» (٢)

تمهيد :

اجتهد المسلمون وتحملوا التعب والمشقة في حفر الخندق ، ورسول الله ﷺ معهم لم يكن بمعزل عن تعبهم وتحملهم ، ولما فرغ رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم من حفر الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت (بمجمع الأسيال) في عشرة آلاف من حلفائهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب جبل أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل «سلع» ، فضرب هنالك عسكره ، وأصبح الخندق بينه وبين المشركين ، وأرسل أبو سفيان كتاباً إلى النبي ﷺ مهدداً بهذه الجموع التي جمعها ، قال فيه : أما بعد . . . فإنك قد قتلت أبطالنا ، وأيتمت الأطفال ، وأرملت النساء ، والآن قد اجتمعت القبائل والعشائر يطلبون قتالك ، وقلع آثارك ، وقد جئنا إليك نريد نصف نخل المدينة ، فإن أجبتنا إلى ذلك ، وإلا أبشر بخراب الديار وقلع الآثار[١] .

مقارنة بين قوات المسلمين وقوات المشركين :

وجه المقارنة	المسلمون	المشركون
القيادة العامة	النبي ﷺ	أبو سفيان بن حرب
العدد	ثلاثة آلاف مقاتل	عشرة آلاف مقاتل بالإضافة إلى يهود بني قريظة
الهدف من القتال	الدفاع عن الإسلام والمسلمين	القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم وذراريهم

نقض بني قريظة العهد مع النبي ﷺ وتحالفهم مع الأحزاب :

ظل التعامل من النبي ﷺ والمسلمين لبني قريظة قائماً على البر والوفاء ، لم يؤاخذهم بصنيع بني قينقاع وبني النضير الذين خانوا وغدروا ، ولكن عدو الله «حُيَيُّ بن أخطب» زعيم بني النضير

(١) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٦٨٣) .

سعى في تأليبهم ضد المسلمين وحرّضهم على الغدر ، فجاء إلى «كعب بن أسد» زعيم بني قريظة ، فلما سمع كعب بن أسد بحُيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيي : ويحك يا كعب افتح لي . فقال : ويحك يا حُيي إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً .

ولكنه كان رجلاً خبيثاً ظل بكعب بن أسد حتى أغراه قائلاً : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش على قادتها ، وبغطفان على قادتها ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب : جئتني والله بذل الدهر ، ويحك يا حُيي فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمدٍ إلا صدقاً ووفاء . فلم يزل حُيي بكعب حتى أقنعه بنقض العهد مع النبي ﷺ والانضمام للمشركين ، وأعطاه حُيَيٌّ بن أخطب عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك[1] .

وصول خبر نقض بني قريظة العهد إلى النبي ﷺ :

نقض كعب بن أسد عهده مع النبي ﷺ ، بالرغم من أنه شهد أنه لم يجد من النبي ﷺ والمسلمين إلا وفاءً وصدقاً ، ولكنه الحقد اليهودي الذي يستتر حتى يجد الفرصة للهجوم على المسلمين .

أراد النبي ﷺ أن يتأكد من صحة الخبر ، فبعث جماعة من الصحابة من بينهم : سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنهما ، وقال لهم : «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقاً فألحنوا إليّ لحناً أعرفه – أي لا تصرحوا بالقول بغدرهم – ولا تفتوا في أعضاد الناس[2] ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به أمام الناس «فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا : من رسول الله ؟ ! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ رضي الله عنه وشاتموه ، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا أربى من المشاتمة[3] . ثم أقبلوا فلما أتوا رسول الله

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٤٢٣) .
(٢) (فت في عضده) إذا ضعفه ووهنه .
(٣) والمعنى : أكثر وأعظم .

ﷺ ، قالوا : «عضل والقارة » . فانظر إلى الذكاء في الإشارة إلى الغدر ، يقصدون أن بني قريظة قد غدروا كما غدرت قبيلتا عضل والقارة ، بخبيب بن عدي وأصحاب الرجيع رضي الله عنهم ، وقالوا هذا حتى لا تضعف عزائم الناس بسبب كثرة الأعداء وشدة الأزمة ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر . أبشروا يا معشر المسلمين[١] .

وعلى رغم محاولتهم إخفاء الحقيقة ، تفطن الناس لجلية الأمر ، فأحس الناس بخطورة الموقف إذ لم يكن يحول بينهم وبين بني قريظة شيء يمنعهم من مهاجمة المسلمين من الخلف ، وكانت ذراري المسلمين ونساؤهم بمقربة من ديار بني قريظة في غير منعة وحفظ[٢] .

لقد أخذت الوساوس والظنون تطوف بنفوس البعض من المسلمين ، حتى لقد خُيّل إليهم أن الأحزاب عما قليل سيدخلون المدينة ، فيغيب عنها نور الإسلام ، وتعود إلى ظلام الشرك وعبادة الأصنام[٣] .

موقف المنافقين وقت اشتداد المحنة :

أظهر أهل النفاق نفاقهم الذي كانوا يسترونه ، وأخذ بعضهم يسخر من وعود النبي ﷺ للأمة بالنصر والتمكين حتى قال أحدهم : كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر ، وأن أموالهما تنفق في سبيل الله ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[٤] .وقالوا ما ذكره الله تعالى :

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[٥]

وأرسلت جماعة من المنافقين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إن بيوتنا عورة ، يطلبون منه الذهاب إلى بيوتهم وترك ميدان القتال[٦] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٣) .
(٢) الرحيق المختوم : ص ٢٥١ .
(٣) القول المبين في سيرة سيد المرسلين : ص ٢٧٧ .
(٤) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٢٨ ، القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ص ٢٧٤ .
(٥) سورة الأحزاب : ١٢ .
(٦) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٢٩ .

بنو قريظة يريدون الإغارة على المدينة ويطلبون مدداً من المشركين :

في هذه الأوقات العصيبة إذا بيهود بني قريظة يريدون الإغارة على المدينة ليلاً ، ويرسلون إلى الأحزاب يطلبون ألف مقاتل من قريش ، وألف مقاتل من غطفان ، فبلغ ذلك المسلمين فعظم الخطب واشتد البلاء ، حتى وصف الله تعالى تلك الشدة بقوله :

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾(١)

ثم كفهم الله تعالى عن ذلك لما بلغهم أن رسول الله ﷺ أرسل «سلمة بن أسلم» في مائتي رجل ، و«زيد بن حارثة» رضي الله عنهم في ثلاثمئة يحرسون المدينة ، ويظهرون التكبير(٢) .

ولقد ذكرت السيدة صفية رضي الله عنها موقفاً يدل على محاولة بعض اليهود مهاجمة الحصون التي فيها نساء المسلمين ، حيث دنا أحدهم إلى باب الحصن يريد أن يدخل ، فأخذت السيدة صفية خشبةً فنزلت إليه فضربته ضربةً شدخت رأسه فقتلته ، فهرب من بقي منهم(٣) . وهذا الموقف يؤكد على شدة غدرهم ، ونقضهم العهد مع النبي ﷺ ، وترويعهم النساء والأطفال ، مما استوجب عقابهم بعد ذلك .

عرض النبي ﷺ على غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل تخليها عن قريش :

عزم النبي ﷺ على أن يفتت تجمع المشركين كي يضعف قوتهم ، فسعى لإغراء قادة غطفان – وهي أكبر قبيلة مشتركة مع قريش – فبعث إلى عيينة بن حصن الفزاري ، وإلى الحارث بن عوف المري وعرض عليهما أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما فرضيا ، فلما

(١) سورة الأحزاب ١٠ – ١١ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٢٨ .
(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٤٦٣) .

أراد رسول الله ﷺ أن يوقع الصلح على ذلك ، بعث إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما يستشيرهما في ذلك ، فقالا : يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئًا تصنعه لنا ؟ – وهذه العبارات تلفت نظرنا إلى أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ عند إبدائهم رأياً في أمر من الأمور – فقال رسول الله ﷺ لو أمرني الله ما شاورتكما ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم : أي غطفان ، على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك . فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة ، وقال رسول الله ﷺ لعيينة والحارث : ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعاً صوته [1] .

ثبات المسلمين وتصديهم لهجمات الأحزاب :

أرادت طائفة من المشركين أن يهجموا ، وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به ، وفيهم عكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن عبد ود ، ووقف عمرو بن عبد ود – وكان رجلاً قوياً تهابه الأبطال – منادياً : من يبارز ، فقام علي رضي الله عنه وقال : أنا له يا نبي الله . فقال ﷺ له اجلس إنه عمرو بن عبد ود ، ثم كرر عمرو النداء ، وجعل يسخر من المسلمين ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتِل منكم دخلها ، أفلا تبرزون إلي رجلاً ؟ وأنشد أبياتاً يستثير بها حمية المسلمين ، فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : اجلس إنه عمرو بن عبد ود . ثم نادى الثالثة ، فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : إنه عمرو فقال وإن كان عمراً ، فأذن له رسول الله ﷺ ، وقال : اللهم أعنه عليه [2] فمشى إليه علي رضي الله عنه ، ودعاه إلى الإسلام

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٤٢٦) الرحيق المختوم : ص ٢٥١ .
(٢) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٤٢٧) .

أولاً فأبى ، ودار بينهما حديث ، ثم بدأت المبارزة ، فأقبل عمرو هاجماً يريد قتل علي رضي الله عنه ، فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته[1] فضربه عمرو فيها فشقها ، وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأس علي رضي الله عنه فشجه ، فضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق ، فسقط وكبّر المسلمون ، فلما سمع رسول الله ﷺ التكبير عرف أن علياً رضي الله عنه قتل عمراً لعنه الله[2] . وفي هذه الأوقات الشديدة والمناوشات بالسهام رمى رجل مشرك اسمه حبان بن قيس بن العرقة سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم ، فقطع من سعدٍ الأكحل – وريد في اليد – فلما أصابه قال : خذها مني ، وأنا ابن العرقة ، فقال سعد رضي الله عنه : عرّق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فاجعله لي شهادةً ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة[3] .

إسلام نعيم بن مسعود رضي الله عنه ودوره في غزوة الخندق :

في هذه الأوقات الصعبة أكرم الله رجلاً من غطفان اسمه نعيم بن مسعود رضي الله عنه بالإسلام ، فأتى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة[4] .

كان نعيم بن مسعود رضي الله عنه رجلاً إيجابياً ، فلم يجلس في بيته حتى تمر الأزمة ، ثم يخرج معلناً إسلامه ، وإنما أخذ يفكر كيف يخدم الإسلام في هذه الأوقات العصيبة ، فرأى أن أفضل عمل يقوم به أن يفرّق شمل الأحزاب واليهود ، ويوقع الشك في قلوب بعضهم تجاه بعض ، ومن المعلوم أن الكذب على الأعداء مباح في الحرب ، ومن ثم قام بالخطة التالية :

١- التوجه إلى بني قريظة وإظهار الود والمحبة لهم .

---

(١) الدرق : ترس تتخذ من الجلود ، يتخذها الجندي في القتال ليحتمي بها .
(٢) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٤٢٧) .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٤١) .
(٤) سيرة ابن هشام : حققة مصطفى السقا (٢/ ٢٢٩) .

٢- تحذير بني قريظة من تخلي قريش عنهم إذا حدثت لهم هزيمة فينفرد بهم المسلمون في المدينة .
٣- عرضه على بني قريظة أخذ رهائن من قريش وغطفان تأكيداً على عدم تركهم في القتال .
٤- توجه نعيم بن مسعود إلى قريش وغطفان وإظهار الود والمحبة لهم .
٥- إخبار المشركين بتراجع بني قريظة عن قتال المسلمين واتفاقهم مع النبي ﷺ على أخذ رهائن من قريش وتسليمهم للنبي ﷺ .

ما ترتب على خطة نعيم بن مسعود رضي الله عنه

١- إرسال قريش إلى بني قريظة يطلبون منهم المبادرة ببدء القتال .
٢- اعتذار بني قريظة عن القتال مؤكدين على أخذ رهائن من قريش تأكيداً على ثباتهم معهم في القتال .
٣- تحقق قريش من صدق نعيم بن مسعود رضي الله عنه وامتناعهم عن تسليم الرهائن لبني قريظة .
٤- وقوع الشقاق بين المشركين وبني قريظة وتفرق جمعهم بسبب خطة نعيم بن مسعود رضي الله عنه [١] .

الريح جند من جنود الله تعالى أرسلها الله على المشركين فعجّلت بانسحابهم :

في ليلة من ليالي غزوة الخندق ، أرسل الله تعالى على المشركين ريحاً شديدة ، فرّقت جمع المشركين وقلعت خيامهم ، وكانت شديدة البرد ، يقول حذيفة رضي الله عنه : ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمةً ولا أشد ريحًا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه .

في هذه الليلة القاسية البرد ، أمر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن يأتيه بخبر قريش وقال له : إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . ثم قال له : يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئًا حتى تأتيني ، ودعا له النبي ﷺ أن يذهب الله عنه البرد والخوف .

ذهب حذيفة رضي الله عنه كما أمره رسول الله ﷺ كي يأتي بخبر المشركين ، فوجدهم يستعدون للرحيل ، وسمع أبا سفيان يقول : الرحيل الرحيل ، ومن ثم رجع رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنه تركهم يرحلون [٢] .

---

(١) ينظر/ الروض الأنف (٦/ ٢٧٩) باختصار وتصرف .
(٢) ينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢٢١) الروض الأنف الوكيل (٦/ ٢٨٠) .

وبعد أن رحل المشركون قال رسول الله ﷺ «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم»[1] وبالفعل ما أتى المشركون إلى المدينة مرة ثانية ، وبذلك تأكد صدق النبي ﷺ فيما أخبر به ، وأنزل الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾

إلى قوله :

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾[2] .

وبعد هذا العرض المثير لغزوة الأحزاب تبين لنا كيف أيد الله تعالى رسوله ﷺ وعباده المؤمنين ، ونصرهم نصراً مؤزراً ، وهذا بفضل الله تعالى أولاً ، ثم بفضل قيادة النبي ﷺ الحكيمة كما هو شأنه دائماً ، ثم ثبات الصحابة رضي الله عنهم ، وتضحيتهم في نصرة دين الله تعالى .

ما يستفاد من الدرس :

١ – نقضُ بني قريظة العهد مع النبي ﷺ رغم اعترافهم بأنهم لم يروا منه إلا الصدق والوفاء .
٢ – اشتداد الأزمة على المسلمين بعد بلوغهم نبأ غدر بني قريظة .
٣ – إظهار أهل النفاق نفاقهم ، وسخريتهم من وعود النبي ﷺ للمسلمين بالنصر والتمكين .
٤ – تحرك بني قريظة لمهاجمة المسلمين من الخلف وترويع النساء والأطفال في حصونهم .
٥ – سعي النبي ﷺ لتفريق شمل الأحزاب بإغراء قادة غطفان بثلث ثمار المدينة .
٦ – نجاح خطة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في إيقاع الشقاق والفرقة بين بني قريظة والمشركين .
٧ – الريح جند من جند الله تعالى أرسلها الله على المشركين فعجّلت برحيلهم وانهزامهم .

(١) رواه البخاري : كتاب المغازي ، باب الخندق .
(٢) سورة الأحزاب : ٩ – ٢٥ .

التقويم

السؤال الأول : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- قاد جموع المشركين في غزوة الخندق عمرو بن هشام . ( )

٢- قتلت السيدة صفية رضي الله عنها اليهودي الذي هاجم الحصن . ( )

٣- فشلت خطة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في إيقاع الخلاف بين المشركين واليهود . ( )

٤- أرسل الله تعالى على المشركين في غزوة الخندق ريحاً شديدة عجّلت برحيلهم . ( )

السؤال الثاني : علل ما يأتي :

١ - ذهاب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة :

- .....

٢ - تراجع يهود بني قريظة عن مهاجمة المسلمين بعد طلبهم المدد من قريش وغطفان :

- .....

٣- محاولة النبي ﷺ إغراء قادة غطفان بثلث ثمار المدينة :

- .....

السؤال الثالث : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

م	المجموعة (أ)	م	المجموعة (ب)
١	الذي بارز عمرو بن عبد ود		وسعد بن عبادة في عدم إعطاء الثمار لغطفان
٢	شهد كعب بن أسد للنبي ﷺ بـ		علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٣	نزل النبي ﷺ على رأي سعد بن معاذ		الصدق والوفاء
٤	أيد الله تعالى المؤمنين في غزوة الخندق بجنود		حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه
			منها الملائكة والريح

السؤال الرابع : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- أرسل كتاباً يهدد النبي ﷺ بجموع المشركين في غزوة الخندق . (.....)

٢- أرسله النبي ﷺ ليأتيه بخبر قريش في ليلةٍ شديدة البرد والريح والظلام . (.....)

السؤال الخامس : اكتب قيمة تربوية استفدتها من خطة «نعيم بن مسعود رضي الله عنه» ومَظهرين سلوكيين لها :

القيمة : .....

المظاهر : ١- .....

٢ - .....

غزوة بني قريظة

تمهيد :

رأينا كيف وقف يهود بني قريظة موقفاً خبيثاً تجاه الإسلام والمسلمين في غزوة الخندق ، بالرغم من اعتراف زعيمهم كعب بن أسد : أنه لم يجد من رسول الله ﷺ إلا وفاءً وصدقاً ، ولكنه الحقد اليهودي الذي لا يمكن أن يصفو تجاه الإسلام والمسلمين ، لقد نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ ، وتطاولوا عليه وعلى الصحابة رضي الله عنهم بالسب والشتم ، واتفقوا مع المشركين على قتال المسلمين ، وروَّعوا نساء المسلمين وذراريهم في الحصون ، ولما تفضل الله تعالى على عباده المؤمنين بالنصر ، ورجع المشركون إلى بلادهم مهزومين كما قال الله تعالى :

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾[1]

كان لابد أن ينال بنو قريظة جزاءهم على هذه الخيانة التي كادت تقضي على الإسلام والمسلمين ، لولا فضل الله تعالى ونصره لدينه وعباده المؤمنين .

تاريخُ «غزوةِ بني قريظة» وأسبابُها :

خرج النبي ﷺ إلى بني قريظة لسبع بقين من ذي القعدة في العام الخامس الهجري ، بعد رُجوعه ﷺ من الخَنْدَق مباشرة .

أسباب «غزوةِ بني قريظة» :

١ – نقضُ بني قريظة عهدهم مع النبي ﷺ .

(١) سورة الأحزاب : ٢٥ .

٢ – تحالفُ بني قريظة مع المشركين للقضاء على الإسلام والمسلمين في غزوة الخندق .

٣– ترويع يهود بني قريظة نساء المسلمين وذراريهم في الحصون القريبة من ديارهم .

أحداث «غزوةِ بني قريظة » :

لقد جعلت خيانة بني قريظة المسلمين مهددين في غزوة الخندق بالإبادة والفناء [١] .

وبعد أن نجَّى الله تعالى رسوله ﷺ والمسلمين من تجمع الأحزاب وغدر اليهود ، رجع النبي ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فإذا بجبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ ويقول له : أَوَقَدْ وَضَعْتَ السّلاحَ يا رَسولَ اللهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَقالَ جِبْريلُ عليه السلام : فَما وَضَعَتْ الْمَلائِكَةُ السّلاحَ بَعْدُ ، وَما رَجَعَتْ الْآنَ إلّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ يَأْمُرُك يا مُحَمّدُ بِالْمَسيرِ إلى بَني قُرَيْظَةَ ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم [٢] .

النبي ﷺ يأمر الصحابة رضي الله عنهم بالتوجه إلى بني قريظة :

استجاب النبي ﷺ لأمر الله تعالى ، وأمر منادياً ينادي في المسلمين : مَنْ كانَ سامِعًا مُطيعًا ، فَلا يُصَلّيَنّ الْعَصْرَ إلّا ببَني قُرَيْظَة [٣] وَاسْتَعْمَلَ عَلى الْمَدينَةِ «ابْنَ أُمّ مَكْتوم رضي الله عنه» ، ودفع اللواء إلى «علي بن أبي طالب رضي الله عنه» ، وكان اللواء على حاله الذي كان عليه عند الخندق لم يتغير .

وعلى الرغم من التعب الشديد للمسلمين بسبب بقائهم مدة طويلة محاصرين ، بالإضافة إلى برودة الجو ، فقد أسرعوا لتنفيذ أمر الرسول ﷺ وأنجزوا تجمعهم في أسرع وقت ، وتقدمت الملائكة زحف الجيش الإسلامي ، وأخذ رسول الله ﷺ يبشر المسلمين بتوجه جبريل عليه السلام قبلهم إلى بني قريظة قائلاً : «ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم» [٤] .

---

(١) الرسول القائد : ص ٢٤٤ .

(٢) ينظر/ الروض الأنف (٦/ ٢٨٢) . وينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٤٥٦ . وينظر/ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٢٦٣) .

(٣) الروض الأنف (٦/ ٢٨٢) .

(٤) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (١/ ٢٨٤) .

قوات الطرفين :

كانت قوات المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل ، بقيادة الرسول ﷺ ، معهم ستة وثلاثون فارساً .

وكان عدد بني قريظة من ستمئة إلى سبعمئة مقاتل ، بقيادة كعب بن أسد ، يعاونه حُيي بن أخطب زعيم بني النضير ، الذي سعى لحشد الأحزاب حول المدينة المنورة [1] .

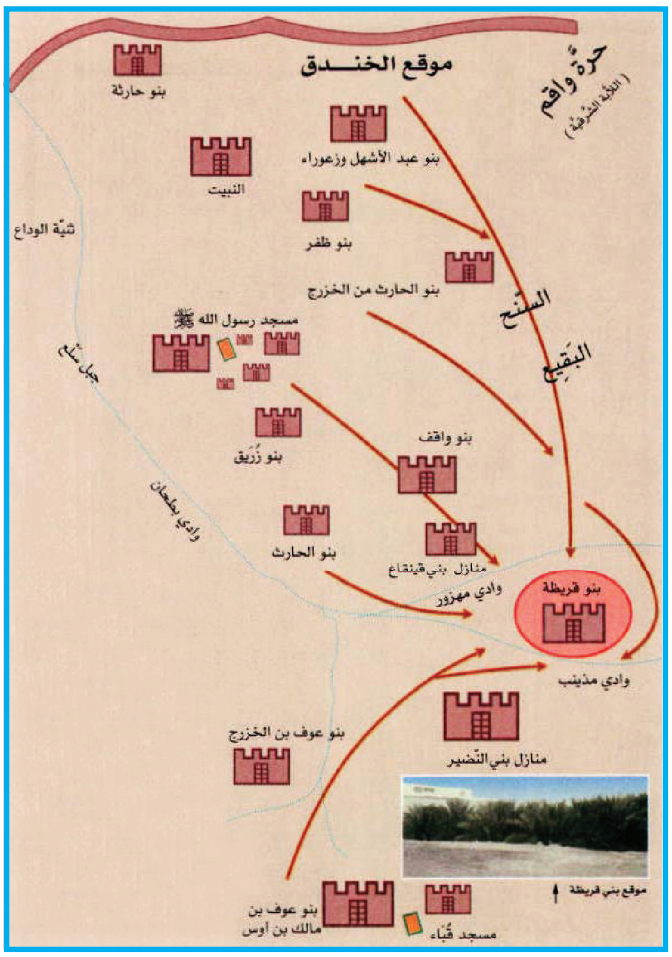

درس قيّم في أدب الاختلاف :

خرج النبي ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم وقال لهم : « مَنْ كانَ سامِعًا مُطيعًا ، فَلا يُصَلِّيَنّ الْعَصْرَ إلّا بِبَني قُرَيْظَة» وأثناء المسير أدرك فريق منهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها – أي بني قريظة – وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يُرَد منا ذلك ، وفعلت كل طائفة منهم ما فهمت من كلام النبي ﷺ ، وذكروا ذلك للنبي ﷺ حين رأوه ، فلم يعنّف واحدًا منهم على ما فعل .

وهذا الموقف يبين لنا مدى احترام الإسلام لاختلاف وجهات النظر ، ما دامت عن اجتهاد سليم بعيد عن العصبية والهوى ، فالنّاس أحد رجلين : رجل يقف عند حدود النصوص الظاهرة لا يعدوها ، ورجل يتبيّن حكمتها ويستكشف غايتها ، ثم يتصرّف في نطاق ما وعى من حكمتها وغايتها ، ولو خالف الظاهر القريب . وكلا الفريقين يشفع له إيمانه واحتسابه ؛ سواء أصاب الحق أو لم يصبه [2] ، وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : «من اجْتهد فَأصاب فَلهُ أَجْرانِ ، وَمن أَخطَأ فَلهُ أجر واحِد» [3] .

---

(١) الرسول القائد : ص ٢٤٤ .

(٢) ينظر/ فقه السيرة للغزالي ، ص ٣١٣ ، بتصرف .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي .

سرعة استجابة الصحابة ﷺ لأوامر النبي ﷺ فاجأت اليهود :

لقد أنجز المسلمون تجمعهم حول حصون بني قريظة قبل أن يحل الظلام من ذلك اليوم ! وعسكر الجيش الإسلامي عند بئر لبني قريظة ، وتكامل تجمع المسلمين عند البئر ، واجتمعوا مع رسول الله ﷺ عشاءً ، وغدا رسول الله ﷺ على حصونهم ، ونظم الصحابة ﷺ حول الحصون ، وأمرهم أن يرموهم بالنبال ، وأن يتعاقبوا في الرمي ، حتى لا يتركوا لهم وقتًا يستريحون فيه .

وحاصرهم النبي ﷺ خمساً وعشرين ليلة ، لم يقع خلالها إلا بعض المناوشات الطفيفة بالنبل والحجارة ، كان من أثرها استشهاد أحد المسلمين ، اسمه : «خلّاد بن سويد بن ثعلبة رضي الله عنه» من الخزرج ، مصاباً برحى – حجر كبير – رمته بها امرأة يهودية من فوق سطح منزلها ، ولم يجرؤ بنو قريظة على الخروج من حصونهم طيلة مدة الحصار ، وكانوا مترددين لا يستقر رأيهم على شيء من شدّة الخوف [1] .

رفض النبي ﷺ شروط بني قريظة للإستسلام .

في آخر النهار أيقن يهود بني قريظة بالهلكة ، فأمسكوا عن الرمي ، وأرسلوا «نباش بن قيس» فكلّم رسول الله ﷺ على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير ، وذلك بأن : يخرجوا مع نسائهم ، وأبناءهم من هذا البلد ، ويتركوا الأموال ، والأسلحة ، والأمتعة ، والدواب ، فأبى النبي ﷺ إلا النزول على حكمه – أي بدون شروط – [2] .

كعب بن أسد زعيم بني قريظة يعرض على قومه أموراً ثلاثة :

عاد «نباش بن قيس» إلى بني قريظة برفض النبي ﷺ لما اقترحوه ، فقال : «كعب بن أسد» زعيمهم : يا معشر بني قريظة والله إنكم لتعلمون أن محمدًا نبي الله ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، فتعالوا فلنتابعه ولنصدقه ولنؤمن به فنأمن على دمائنا وأبنائنا ونسائنا وأموالنا .

---

(١) الرسول القائد : ص ٢٤٥ .

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٥٧ .

فردوا عليه : لن نكون تبعًا لغيرنا ولا نفارق التوراة وندع ما كنا عليه .

فلما أبوا أن يدخلوا في الإسلام عرض عليهم زعيمهم «كعب بن أسد» أموراً ثلاثة :

١- الإيمان بالله ورسوله . . فأبوا ذلك ورفضوه .

٢- أن يقتلوا أبناءهم ونسائهم ويخرجوا لقتال النبي ﷺ والمسلمين . . فأبوا ذلك ورفضوه أيضاً .

٣- أن يهجموا على المسلمين فجأة يوم السبت - وهو يوم راحة لا يفعل اليهود فيه شيئاً - فأبوا .

وسُقط في أيديهم ، وندموا على نقض العهد يوم الأحزاب . فغضب منهم كعب واتهمهم بعدم الحزم ، وقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة حازمًا .

ولم يستجب منهم إلا فريق من بني هدل خالفوا اليهود ودخلوا في الإسلام ، ونجوا بأنفسهم ، وأموالهم ، وأولادهم بعد أن بذلوا النصح الأمين لقومهم ، ولم ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ يوم الأحزاب [١] .

يهود بني قريظة يطلبون مشورة «أبي لبابة رضي الله عنه» :

اشتد الأمر على اليهود ، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل لهم «أبا لبابة بن المنذر رضي الله عنه» ، وكان لهم نصيحًا ، لما بينهم وبينه من حلف ؛ ولأن أمواله وأهله بينهم ، فلما أتاهم «أبو لبابة» رضي الله عنه قال له كعب بن أسد : يا أبا لبابة إنا قد اخترناك على غيرك ، إن محمدًا قد أبى إلا أن ننزل على حكمه ، أفَتَرَى أن ننزل على حكمه ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح - وكانت هذه الإشارة منه معصية كأنه يحذرهم من النزول على حكم النبي ﷺ - .

مبادرة أبي لبابة رضي الله عنه إلى التوبة :

قال أبو لبابة : فو الله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ، فندمت واسترجعت وأخذت في البكاء ، فنزلت وإن لحيتي مبتلة من الدموع ، والناس ينتظرون رجوعي إليهم فأخذت من وراء الحصن طريقًا أخرى ، حتى جئت المسجد ولم آت رسولَ الله ﷺ ، فارتبطت ، وقلت : لا أبرح من مكاني حتى أموت ، أو يتوب الله عليّ مما صنعت ، وبلغ

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٥٨ .

رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعت فقال : «دعوه حتى يحدث الله تعالى فيه ما شاء ، لو كان جاءني استغفرت له ، فإذا لم يأتني وذهب فدعوه» . وأنزل الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾[1]

قال أبو لبابة رضي الله عنه : فكنت في أمر عظيم ، في حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن ، ولا أشرب ، ولا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ[2] ، يقول أبو لبابة رضي الله عنه : فلم أزل كذلك حتى ما أسمع الصوت من الجهد ، ورسول الله ﷺ ينظر إليّ ، ومكث أبو لبابة رضي الله عنه مرتبطًا ست ليال تأتيه امرأته مرة ، وابنته مرة أخرى ، فتحله حتى يتوضأ ، ويصلي ثم يرتبط . واستمر الحال على ذلك حتى نزل قوله تعالى :

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢ ﴾[3] .

ولما تاب الله على أبي لبابة رضي الله عنه سار إليه الصحابة ليطلقوه ، فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر رسول الله ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه[4] .

بنو قريظة يوافقون على الاستسلام بدون شروط :

لما اشتد أمر الحصار على بني قريظة ، وأيقنوا بالهلاك ، وافقوا على النزول على حكم رسول الله ﷺ بدون شروط ، فأمر بأسراهم فكتفوا رباطًا ، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، ونُحُّوا ناحية ، وأُخْرِج النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد

(١) سورة الأنفال : ٢٧ .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ٨) .
(٣) سورة التوبة : ١٠٢ .
(٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٤٣٣) .

الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وجمعت أمتعتهم وما وجد في حصونهم من السلاح والأثاث ، فوجد فيها ألف وخمسمئة سيف ، وثلاثمئة دارع ، وألفا رمح ، وألف وخمسمئة ترس ، ووجد من الجِمال النواضح عدة ، ومن الماشية شيء كثير ، فجمع هذا كله ، كما وجدوا كذلك بعض أواني الخمور فأراقها المسلمون[1] .

الأوس يطلبون من النبي ﷺ أن يهب لهم بني قريظة :

طلب الصحابة من الأوس من النبي ﷺ أن يهب لهم بني قريظة فإنهم حلفاؤهم ، كما وهب لعبد الله بن أُبي بني قينقاع حلفاءه . فقال ﷺ : « أما ترضون أيها الأوس أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم» ؟ قالوا : بلى ، قال ﷺ : « فذلك إلى سعد بن معاذ» .

حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بني قريظة :

كان سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يداوى في خيمة في المسجد من الرمية التي أصيب بها في غزوة الخندق ، فلما ترك له رسول الله ﷺ الحكم في بني قريظة ، خرج إليه قومه من الأوس ، فحملوه على حمار ، والتفوا حوله وأخذوا يقولون له : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم فأحسن ، فقد رأيت ابن أُبي وما صنع في حلفائه ، وأكثروا في هذا وشبهه وهو لا يتكلم ، ثم قال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . وقالت الأوس الذين حضروا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قد ولاك الحكم فأحسن فيهم ، واذكر بلاءهم عندك ، فقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أترضون بحكمي لبني قريظة ؟

قالوا : نعم ، قال : فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقاتِلَةُ وَتُسْبَى النِّساءُ وَالذُّرِّيَّةُ وَتُقْسَمَ أَمْوالُهُمْ .

وقد حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الحكم لأنه ذكر أن الأحزاب لو انتصروا بخيانة بني قريظة على المسلمين ، لكان مصير المسلمين الإبادة ، فجزاهم سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثل ما عرّضوا المسلمين له[2] .

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٦٠ .
(٢) الرسول القائد : ص ٢٤٧ . وينظر/ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ١٠) .

فقال رسول الله ﷺ : «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات»[1] .

النبي ﷺ ينفّذ الحكم في بني قريظة :

نفّذ رسول الله ﷺ حكم الله تعالى في بني قريظة ، فقتل من بلغ منهم ، وضرب رسول الله ﷺ عنق كعب بن أسد زعيمهم ، وقتل حُيي بن أخطب سيد بني النضير ، لأنه كان قد دخل معهم في حصنهم وفاءً لما عاهدهم عليه يوم أن أقنعهم بالانضمام إلى الأحزاب ، ولم يقتل من النساء إلا امرأة واحدة ، وهي المرأة التي ألقت الحجر على رأس الصحابي «خلاد بن سويد رضي الله عنه» فمات ، فقتلها قصاصاً به .

وأمر النبي ﷺ بتقسيم الأموال ، والنساء والذراري ، ووصَّى رسول الله ﷺ بالرفق بالأسارى ، وعرض رسول الله ﷺ الإسلام على الأسرى فمن أسلم باعه إلى صحابي مسلم ، وأرسل النبي ﷺ طائفة من الأسرى فبيعت في نجد ، وطائفة أخرى بيعت في الشام ، وأوصى ﷺ بشراء أسلحة بثمنها .

وبذلك تخلص المسلمون من آخر شوكة من اليهود ، داخل المدينة كانت تكيد لهم وتدبر ضدهم المؤامرات ، ألا وهي : « قبيلة بني قريظة» .

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه :

كان سعد بن معاذ رضي الله عنه مصاباً في ذراعه في غزوة الخندق ، وكان قد دعا ربه قائلاً : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وأخرجوه ، وكذّبوه ، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمتني حتى تُقِرَّ عيني من بني قريظة[2] وقد استجاب الله تعالى دعاءه رضي الله عنه وحكم في بني قريظة ، ثم انفجر جرحه و مات شهيداً رضي الله عنه بسبب إصابته في غزوة الخندق .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ١٣٤) التعليق من تلخيص الذهبي صحيح . وينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢٣٥) . وينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ٤٦١ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣٨١) .

ما يستفاد من الدرس :

١ – سرعة استجابة الصحابة ﷺ لأمر النبي ﷺ بالذهاب إلى بني قريظة .

٢ – بيان احترام الإسلام لاختلاف وجهات النظر البعيدة عن الهوى والعصبية .

٣ – تشديد النبي ﷺ الحصار على يهود بني قريظة حتى خافوا واستسلموا .

٤ – رفض النبي ﷺ طلب يهود بني قريظة في معاملتهم كيهود بني النضير .

٥ – اعتراف أبي لبابة رضي الله عنه بما صدر منه من مخالفة وتوبته منها .

٦ – موافقة حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه لحكم الله تعالى في بني قريظة .

٧ – استشهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد غزوة بني قريظة بسبب إصابته في غزوة الخندق .

التقويم

السؤال الأول : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(بنو هدل – الخندق – ثلاثة آلاف – أربعاً – ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – خمساً – بدر – الأوس)

١ – حاصر النبي ﷺ بني قريظة ..... وعشرين ليلة .

٢ – طلب ..... من النبي ﷺ أن يهب لهم بني قريظة .

٣ – خرج النبي ﷺ إلى بني قريظة ومعه ..... مقاتل .

٤ – ..... خالفوا اليهود ونجوا بأنفسهم ودخلوا في الإسلام .

٥ – مات سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيداً بسبب إصابته في غزوة .....

٦ – استعمل النبي ﷺ ..... على المدينة في غزوة بني قريظة .

السؤال الثاني : أجب عما يأتي :

١ – متى خرج النبي ﷺ إلى بني قريظة ؟

- .....

٢ – بما حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بني قريظة ؟

- .....

٣– فيمن نزل قوله تعالى :﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟

- .....

السؤال الثالث : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- حمل لواء المسلمين في غزوة بني قريظة . (.....)

٢- أرسلته بنو قريظة إلى النبي ﷺ لينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير . (.....)

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «مَنْ كانَ سامِعًا مُطيعًا ، فَلا يُصَلّيَنّ الْعَصْرَ إلّا بِبَني قُرَيْظَة»

القائل : (.....)

٢- «إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ يَأْمُرُك يا مُحَمّدُ بِالْمَسيرِ إلى بَني قُرَيْظَةَ»

القائل : (.....)

٣- « فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقاتِلَةُ وَتُسْبَى النِّساءُ وَالذُّرِّيَّةُ وَتُقْسَمَ أَمْوالُهُم»

القائل : (.....)

السؤال الخامس : عدّد أسباب غزوة بني قريظة :

- .....
- .....
- .....

زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وإبطال عادة التبني

تمهيد :

لم تكن الفترة التي أعقبت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة ، قاصرة على النشاط العسكري من غزوات أو سرايا فحسب ، وإنما كانت كذلك حافلة بالتشريعات التي ترسم الصبغة الربانية للمجتمع الإسلامي ، كما اشتملت تلك الفترة كذلك على محاربة عادات الجاهلية التي توارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم ، ولم يكن القضاء على هذه العادات المنافية للإسلام بالأمر السهل البسيط ، وذلك لأن نفوسهم كانت قد تشربتها واعتبرتها من أساسيات حياتها .

ولقد كان من العادات المنتشرة بين العرب تعاظم السادة والأشراف منهم عن زواج بناتهم للموالي – الذين كانوا عبيداً وتحرروا – مهما كانت مكانة هذا الرجل بينهم ، فهو في نظرهم لا يتعدى أن يكون عبداً .

وكذلك كانت عادة التبني[1] من تلك العادات التي كانت منتشرة في الجاهلية ، وكان من الصعب القضاء عليها بدون نموذج عملي يطبق أمام سمع وبصر المجتمع ، وأراد الله تعالى بحكمته أن يتم هذا النموذج لإلغاء تلك العادات في أعقاب غزوة الخندق ، من خلال شخص النبي الكريم ﷺ ، وإليك تفصيل ذلك :

قصة تبني رسول الله ﷺ زيداً بن حارثة رضي الله عنه :

كان زيد بن حارثة بن شراحيل رضي الله عنه[2] – مولى رسول الله ﷺ وخادمه – يُدعى : زيد بن مُحَمَّد ، وكان لذلك قصة خلاصتها : أن أم زيد واسمها : سعدى بنت ثعلبة بن عامر ، زارت قومها وزيد طفل صغير معها ، فأغارت قبيلة قوية على قومها ، فأخذوا زيداً وباعوه في سوق

(١) التبني : بمعنى أن يضم أحد الناس طفلاً إلى نسبه ، ويجعله كولده ، ويعطيه اسمه ولقبه ، وسائر الحقوق للابن من الصلب .
(٢) ويقال شرحبيل .

عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة بأربعمئة درهم ، فلما تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهبت له زيداً ليخدمه .

وكان أبو زيد : حارثة بن شراحيل ، دائم البحث عن ولده زيد حتى علم بمكانه ، فأتى إلى النبي ﷺ ، ومعه أخوه كعب بن شراحيل ، قاصدين فداء زيدٍ بالمال ، كي ينال حريته – وكان ذلك قبل البعثة .

فسألا عن النّبي ﷺ فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : يا بن عبد المطّلب ، يا بن سيد قومه ، أنتم أهل حرم اللَّه تفكّون العاني ، وتطعمون الأسير ، جئناك في ولدنا عبدك ، فامنن علينا وأحسن في فدائه ، فقال النبي ﷺ : أو غير ذلك ؟ أدعوه فخيّروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فو اللَّه ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء ، قالوا : زدتنا على النَّصَف – إذ أنهما لا يمكن أن يتوقعا أن يختار زيد العبودية على الحرية – فدعاه ، فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبي وهذا عمّي ، قال : فأنا من قد علمت ، وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما ، فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والعمّ ، فقالا : ويحك يا زيد ، أتختار العبوديّة على الحرية ، وعلى أبيك وعمّك وأهل بيتك ؟ قال : نعم ، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً ، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر ، فقال : «اشهدوا أنّ زيداً ابني ، يرثني وأرثه» فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما ، وانصرفا ، فدعي منذ ذلك الوقت : زيد بن محمد [1] .

ظل زيد رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى جاء الإسلام ، فكان من السابقين إليه ، ومن المقربين إلى رسول الله ﷺ ، ولما صار شاباً ، أراد النبي ﷺ أن يزوجه .

النبي ﷺ يخطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنهما :

كانت السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها [2] : ابنة عمة رسول اللَّه ﷺ ، أمها أميمة بنت عبد المطلب

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٩٦) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .

(٢) كانت السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها من سادة النساء ، ديناً ، وورعاً ، وجوداً ، ومعروفاً ، وحديثها في الكتب الستة ، توفيت في سنة عشرين ، وصلّى عليها عمر رضي الله عنه ، تحدثت عن فضائلها السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت : قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً ، قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدّق . وتقول عنها السيدة عائشة رضي الله عنها : هي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشدّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدّق به ، وتقرب به إلى الله تعالى . ينظر/

بن هاشم ، من أشراف العرب وسادتهم ، وقد أراد الرسول ﷺ أن يحطم تلك الفوارق الطبقية المتوارثة من عادات الجاهلية ، ليكون الناس سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وكان المجتمع يعتبر الموالي طبقة أدنى من طبقة السادة ، وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه من الموالي ، فهو مولى رسول الله ﷺ الذي أعتقه ثم تبناه ، فرأى رسول الله ﷺ أن يزوج زيدًا من شريفة بني أسد ابنة عمته (زينب بنت جحش) رضي الله عنها ، ليبطل تلك الفوارق الطبقية بنفسه ﷺ في أسرته ، وكانت هذه الفوارق من العمق بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ ، ليتخذ منه المسلمون القدوة الحسنة .

وأيضاً كانت هناك حكمة في علم الله ولم تكن قد ظهرت بعد وهي : أن هذا الزواج كان مقدمة لتشريع آخر لا يقل أهمية للمجتمع والأسرة عن الحكمة الأولى ، وهو إبطال عادة التبني .

انطلق رسول الله ﷺ ليخطب لفتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فرفضت لأنها شريفة قرشية تأبى إلا الزواج من مثلها – فقال رسول الله ﷺ : «بلى فانكحيه» وأنزل الله تعالى قوله :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]

فقالت لما نزلت الآية : إني أستغفر الله ، وأطيع الله ورسوله ، افعل ما رأيت يا رسول الله[2] ، فزوجها رسول الله ﷺ لفتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، الذي كان يدعى : «زيد بن محمد» .

طلاق زيد بن حارثة رضي الله عنه لزينب بنت جحش رضي الله عنها :

شاءت حكمة الله تعالى أن لا يتوافق زيدٌ وزينبُ رضي الله عنهما في زواجهما ، وأصبحت حياة الزوجين لا تطاق ، وعزم زيد رضي الله عنه على فراق زوجته ، وكان قبل ذلك يشتكي لرسول الله ﷺ من عدم

إمتاع الأسماع (٦/ ٥٨) .
(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني : ص ١٢٩ .

استطاعته البقاء مع زينب ، فقد فسدت العلاقات بينهما فهي تتعالى عليه بنسبها ، وتأبى أن تكون تحت رجل غير قرشي ، وترى زيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عتيق النبي ﷺ وليس ابنه ، فاستكبرت عليه ، وكان زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلاً عزيز النفس ، فلم يطق تكبرها عليه ، فأراد تطليقها ، وذكر ذلك لرسول الله ﷺ[1] .

كان رسول الله ﷺ يأمر زيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإمساك زوجته ، ويوصيه بتقوى الله في شأنها ، ويقول له : «أمسك عليك زوجك واتقِ الله» . بالرغم من أن الله تعالى كان قد أطلع رسوله ﷺ على ما سيحدث من طلاق زيدٍ لزينب ، وزواج النبي ﷺ منها ، لإبطال عادة التبني ، ولكن النبي ﷺ كان يخفي إظهار هذه الأمور ، ويخشى من كلام الناس إذ أنهم سوف يقولون : تزوج رسول الله ﷺ مطلقة ابنه بالتبني ، وهو شيء لا يزال مرفوضاً بين الناس ، ومن ثم فسوف يجابه النبي ﷺ العرب بشيء لم يألفوه ، فهو في حرج من ذلك ومشقة ، لذلك عاتبه الله تعالى قائلاً :

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[2] .

يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية – يعني لما فيها من عتاب[3] .

شاء الله تعالى أن يطلِّق زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوجته زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وانفصمت العَلاقَةُ بينهما بعد أن مكث معها ما يقرب من سنة أو أكثر ، فلم يرد زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبني سعادته وراحته على شقاء الآخرين وتعاستهم والإضرار بهم ؛ ولهذا صمم على الفراق وعدم الإضرار بها ، وانتهى زواجهما على هذا الوضع دون أي تدخّل خارجي بينهما ، ووقع ذلك الطلاق بمحض اختياره وإرادته ، بالرغم من نهي النبي ﷺ له[4] .

(١) خاتم النبيين ﷺ (٣/ ١١٠٠) .
(٢) سورة الأحزاب : ٣٧ .
(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٢٩٧) .
(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٦٢٩ .

القرآن الكريم يبطل عادة التبني :

كانت آيات القرآن الكريم تتنزل على رسول الله ﷺ فتأخذ بيد المجتمع شيئاً فشيئاً تجاه التعاليم الربانية ، التي يريد الإسلام أن يربي المجتمع عليها ، ولم يكن من السهل – كما ذكرنا – التخلص من آثار عادات الجاهلية ، فنزلت آيات القرآن الكريم تنفي أن يكون الولد بالتبني ابناً حقيقياً لمن تبناه ، فقال تعالى :

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾[1]

ثم أمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم الحقيقيين ، فهذا من العدل والقسط والبر ، قال تعالى :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾[2]

فنسبة الولد بالتبني إلى غير أبيه الحقيقي إنما هو نوع من تزوير الحقائق ، يترتب عليه الكثير من المخالفات الشرعية .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : «إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن »[3] ، ومن ثم أصبح يقال زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وإذا كان زيد رضي الله عنه قد حُرم من شرف النسب إلى النبي ﷺ فقد عوَّضه الله تعالى وشرَّفه بتكريم آخر لم يظفر به أحد من أصحاب النبي ﷺ ، وهو أن الله تعالى سمَّاه وحده باسمه صريحاً في القرآن الكريم :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾

(١) سورة الأحزاب : ٤ .
(٢) سورة الأحزاب : ٥ .
(٣) رواه البخاري في التفسير باب (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ) (رقم ٤٧٨٢) (٣/ ٢٧٦) .

ومَنْ ذكره الله تعالى باسمه في القرآن الكريم حتى صار اسمه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ، فقد شرّفه الله تعالى غاية التشريف ، فكان في هذا إيناس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ له .

النبي ﷺ يتزوج من السيدة زينب رضي الله عنها بعد طلاق زيد رضي الله عنه لها :

لما طلّق زيد رضي الله عنه زوجته زينب رضي الله عنها ، وانقضت عدتها ، بعثه النّبيّ ﷺ إليها ليخطبها له ، وانظر إلى حكمة النبي ﷺ في إرسال زوجها الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه ليخطبها للنبي ﷺ ، ولعل اختيار رسول الله ﷺ لزيد رضي الله عنه كان مقصوداً لذاته ، ليقطع بذلك ألسنة المنافقين وأعداء الإسلام عما يزعمونه من أن طلاق زيد رضي الله عنه لها وقع بغير رضاه [١] .

عن أنس رضي الله عنه قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد : «اذهب فاذكرها علي – أي اخطبها لي – قال زيد رضي الله عنه : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامِر ربي عز وجل ، ثم قامت إلى مسجدها تصلّي الاستخارة [٢] ، وقد علّل بعض العلماء سبب استخارتها بخوفها من ألا تقوم بحق النبي ﷺ عليها وهذا دلالة منها على كمال عقلها وترويها وعلمها بقدر النبي ﷺ[٣] .

ثم جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بزواج السيدة زينب رضي الله عنها لحكمة واضحة وظاهرة ، وقد بيّنها الله تعالى بقوله :

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[٤]

فتم بذلك الإلغاء العملي لعادة التبني ، ليعطي النبي ﷺ بذلك القدوة بنفسه أمام الناس جميعاً .

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث : ص ٦٣٢ .
(٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار : محمد بن عمر بن مبارك الحميري (ص ٣١٨) ، ط ١ ، دار المنهاج ، جدة ، ١٤١٩ هـ .
(٣) شمائل الرسول ﷺ : أحمد بن عبدالفتاح زواوي (٢/ ١٢٤) دار القمة ، الإسكندرية .
(٤) سورة الأحزاب : ٣٧ .

فكانت السيدة زينب ﵂ تفخر بذلك على زوجات النبي ﷺ قائلة : «زوّجكُنَّ أهاليكُنَّ ، وَزَوَّجَني اللهُ تعالى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سماواتٍ[1] .

والسؤال المتبادر إلى الذهن هنا لماذا حرّم الإسلام التبني ووقف منه هذا الموقف الشديد ؟

وعلينا أن نعلم أن الإسلام قد حرّم التبني (تلك العادة الجاهلية) لما يترتب عليه من آثار سيئة منها :

١ – الكذب والزور في نسبة إنسان إلى غير أبيه .

٢ – اختلاط الأنساب والتلبيس فيها .

٣ – تغيير قسمة المواريث على وجه يحرم المستحق ويعطي غير المستحق .

٤ – تحليل الحرام مثل : خَلْوة الولد بالتبني بنساء أجنبيات كزوجة من تبناه أو ابنته .

٥ – تحريم الحلال ؛ حيث يمنع التبني الزواج بين المُتَبَنَّى وأبناء من تبناه مع أنه حلال شرعاً .

وغير ذلك من التعدِّي على حدود الدين ، وفي مقابل ذلك نجد الإسلام قد حث ورغّب في كفالة اليتيم ، ومساعدة المسكين ، وإطعام الفقير لما في ذلك من الأجر والثواب ولكن كل ذلك يكون خارجاً عن إطار عادة التبني المتعارف عليها بين أهل الجاهلية .

ما يستفاد من الدرس :

١ – تقديم زيد بن حارثة رسول الله ﷺ على أبيه وعمِّه .

٢ – تنزل آيات القرآن الكريم لمعالجة المجتمع من عادات الجاهلية .

٣ – تزويج النبي ﷺ زيداً بن حارثة من السيدة زينب بنت جحش لإزالة الفوارق الطبقية .

٤ – عدم استقرار الحياة الزوجية بين زيد وزينب ﵄ ووقوع الطلاق بينهما .

٥ – معاتبة الله تعالى نبيه ﷺ لإخفائه ما أبداه الله له من طلاق زيدٍ لزينب وزواجه منها .

٦ – من حِكَم تحريم الإسلام للتبني :

أ – منع اختلاط الأنساب .

ب – إيصال الحقوق إلى أصحابها في المواريث .

ج – صيانة الحرمات بحيث لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال .

---

(١) رواه البخاري : باب وكان عرشه على الماء .

التقويم

السؤال الأول : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	كان زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدعى بـ		سعدى بنت ثعلبة بن عامر
٢	أم زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي		زيد بن محمد
٣	أم زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي		حسن الجوار
٤	من عادات الجاهلية التي حرَّمها الإسلام		أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم
			التبني ونسبة الولد لغير أبيه

السؤال الثاني : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- الناس سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . ( )

٢- آثر زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذهاب مع أبيه وعمه على الجلوس مع النبي ﷺ . ( )

٣- زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الصحابي الوحيد الذي ذُكر اسمه صريحاً في القرآن الكريم . ( )

٤- استقرار الحياة الزوجية بين زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزوجته زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . ( )

السؤال الثالث : علّل ما يأتي :

١ - تزويج النبي ﷺ زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- .....

٢- استخارة السيدة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند طلب النبي ﷺ الزواج منها :

- .....

السؤال الرابع : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «ما أنا بالذي أختار عليك أحداً»

القائل (.....)

٢ - «اشهدوا أنّ زيداً ابني ، يرثني وأرثه»

القائل (.....)

٣-«زوّجكُنَّ أهاليكُنَّ ، وَزَوَّجَني اللهُ تعالى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سماواتٍ»

القائل (.....)

السؤال الخامس : اكتب اثنتين من حِكم تحريم الإسلام للتبني :

١- .....

٢- .....

المراجع

- القرآن الكريم .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- سنن أبي داوود .
- سنن الترمذي .
- سنن النسائي .
- سنن ابن ماجه .
- البداية والنهاية (الإمام ابن كثير) .
- السيرة النبوية (ابن هشام) .
- صحيح السيرة النبوية (الحافظ ابن كثير) .
- الرحيق المختوم (صفي الدين المباركفوري) .
- هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب (أبو بكر الجزائري) .
- صحيح السيرة النبوية (إبراهيم العلي) .
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (علي الصلابي) .
- فقه السيرة (محمد الغزالي) .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (الإمام بن حجر العسقلاني) .
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (محمد بن يوسف الصالحي) .
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (محمد بن عفيفي الخضري) .
- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (المقريزي) .
- الروض الأنف في شرح غريب السير (عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي) .

- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (محمد أبو شُهبة) .
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (علي بن برهان الدين الحلبي) .
- سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام (صالح بن طه عبد الواحد) .
- خاتم النبيين ﷺ (محمد أبو زهرة) .
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (أحمد أحمد غلوش) .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (محمد بن محمد بن سيد الناس) .
- غزوات النبي ﷺ (السيد الجميلي) .
- وامحمداه إن شانئك هو الأبتر (سيد بن حسين بن عبد الله العفاني) .
- الرسول القائد (محمود شيت خطاب) .
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (سليمان بن موسى الكلاعي) .

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (٢٥٧) بتاريخ ٢٧/ ٨/ ٢٠١٥ م

مطبعة
الدروازة